ثلاثون مجلسًا في التدبر

مجالس علمية وإيمانية

المجموعة الثانية

إعداد اللجنة العلمية في مركز تدبر



مركز تدبر للدراسات والاستشارات

ثلاثون مجلسا في التدبر

مجالس علمية وإيمانية

المجموعة الثانية

الطبعة الأولى

١٤٣٤هـ - ٢٠١٣

الرياض ـ الدائري الشرقي ـ مخرج ١٥

هاتف ٢٥٤٩٩٩٣ ـ تحويلة ٣٣٣

ناسوخ ٢٥٤٩٩٩٦

ص.ب.٩٣٤٠٤ الرمز: ١١٦٨٤

البريد الحاسوبي: tadabbor@tadabbor.com

www.tadabbor.com

. . . .

ح مركز تدبر للاستشارات التربوية والتعليمية، ١٤٣٤هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

مركز تدبر للاستشارات التربوية والتعليمة

ثلاثون مجلسا في التدبر (مجالس علمية وإيمانية).

/ مركز تدبر للاستشارات التربوية والتعليمية - الرياض، ١٤٣٤هـ

١٣٠ ص؛ ١٧ × ٢٢سم

ردمك: ٩٧٨-٦٠٣-٩٠٣٦٤-٣-٢

١- القرآن - مباحث عامة ٢- القرآن - أحكام أ. العنوان

ديوي ٢٢٩ ١٤٣٤/٧١٦٩

رقم الإيداع: ١٤٣٤/٧١٦٩

ردمك: ٩٧٨-٦٠٣-٩٠٣٦٤-٣-٢


بسم الله الرحمن الرحيم


ثلاثون مجلساً في التدبر
مجالس علمية وإيمانية



تقـديم

الحمد لله الذي أكرمنا بنزول القرآن، ومنّ علينا ببعثة سيد ولد عدنان، وصلى الله على مَنْ كان خلقُه القرآن، فزكاه ورباه ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾ فربّى أصحابه بمدارسة آياته في مجالس الذكر والقرآن، وقد فتح الله به قلوبًا غلفًا، وأعينًا عميًا، وآذانًا صُمًا، وسلم تسليمًا كثيرًا ما ترددت على الألسن آيات الرحمن، وتليت في المحاريب هدايات الفرقان، وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد:

ففي صحيح مسلم من طريق الأغر أبي مسلم، أنه قال: أشهد على أبي هريرة وأبي سعيد الخدري -رضي الله عنهما- أنهما شهدا على النبي ﷺ أنه قال: «لا يقعد قوم يذكرون الله عز وجل إلا حفتهم الملائكة، وغشيتهم الرحمة، ونزلت عليهم السكينة، وذكرهم الله فيمن عنده»(١).

فهذه بشارة نبوية، تستحق من أتباعه ﷺ أن يتنادوا لنيل هذه الثمرات الأربع العظيمة، التي تعادل الواحدة منها الدنيا وما فيها، فكيف بها مجتمعة لمن حقق هذا المعنى: تلاوة كتاب الله وتدارس معانيه، وقد كان جبريل عليه السلام يلقى النبي ﷺ في رمضان (فيدارسه القرآن).

ورغبةً في التعاون مع إخواننا المسلمين في إحياء هذه المجالس في المساجد والبيوت، جاءت فكرة «مجالس تدبر القرآن»، وستكون ضمن سلسة متتابعة -بمشيئة الله تعالى-؛ لتكون امتدادًا لبقية الإصدارات العلمية والتربوية التي سبق نشرها، وتهدف إلى تحقيق رؤيتنا -أن يتدبر القرآن كل من يقرؤه- في هذا المشروع العظيم.

(١) صحيح مسلم (٢٧٠٠).

وإذ نقدم هذه المجالس الثلاثين في «مجموعتها الثانية» -والتي حرر كثيرًا منها عدد من الأعضاء المؤسسين لمشروع تدبر- فإننا نرجو الله تبارك وتعالى أن تحقق أهدافًا منها:

- أن تكون معينةً للإمام في مسجده -وخاصة في شهر رمضان- وللخطيب في منبر الجمعة، في تناول بعض القضايا المهمة -التي يحتاجها الناس- من منظور تدبري، وفق أصول علمية للتدبر.

- أن تكون مادةً مناسبة للمجالس التي يعقدها عدد كبير من الآباء مع أزواجهم وأولادهم في بيوتهم، سواء في رمضان أو غيره، تأسيًا بهدي القرآن الذي ربّى عليه أمهات المؤمنين: ﴿ وَٱذْكُرْنَ مَا يُتْلَىٰ فِى بُيُوتِكُنَّ مِنْ ءَايَـٰتِ ٱللَّهِ وَٱلْحِكْمَةِ ﴾الأحزاب: ٣٤.

ـ أن تكون عونًا لمن أحب أن يقرأ مادة مختصرةً في المنتديات أو المجالس أو الاجتماعات العائلية.

وفي الختام أشكرُ إخواني في اللجنة العلمية في مركز تدبر، الذين قاموا بالعمل على إعداد هذه المجالس؛ لتخرج بهذه الحلة المناسبة.

وغني عن القول أن هذا العمل لا يستغني عن التقويم من قبل إخواننا وأخواتنا من أهل القرآن، فهذه المجالس منهم وإليهم، والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلّم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

وكتب/ ناصر بن سليمان العمر

naser@tadabbor.com

رئيس الهيئة العالمية لتدبر القرآن الكريم

١٧/ ٧/ ١٤٣٤هـ



مقدمة

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وأصحابه ومن والاه، أما بعد:

فهذه هي المجموعة الثانية من «سلسة مجالس تدبر القرآن» تضم إلى سابقتها ومع ما سيأتي من مجموعات بمشيئة الله تعالى؛ لتتمم ما ابتدأناه في مركز تدبر من إصدارات علمية وتربوية ابتدأ نشرها من عام ١٤٢٩هـ، ولله الحمد والمنة، وبلغت حتى الآن (اثنين وعشرين إصدارًا)، نسأل الله أن ينفع بها، ويبارك فيها.

وفي هذا السياق، أصدر مركز تدبر مجموعة من «مجالس التدبر» في هذا العام ١٤٣٤هـ، لفضيلة د.عويض بن حمود العطوي، بعنوان: (مجالس قرآنية.. وقفات بيانية ودلالات تربوية)، والتي اعتنى فيها فضيلته بإبراز المعاني البيانية في تلك الوقفات التي وقفها مع عدد من الآيات الكريمة.

إن من أهم أهدافنا من إطلاق هذه السلسلة العلمية في تدبر القرآن:

أولًا: ربط الأمة بمصدر هدايتها وعزّها، وإبراز هذه الهدايات بمختلف الطرق الممكنة، وأهمها الإصدارات العلمية.

ثانيًا: طبيعة هذه المجالس لا ترتبط بموسمٍ معيّن، ولا موضوع محدد، بل هي منوّعة بتنوّع موضوعات القرآن الكريم، وسيكون التركيز على ما يمسّ بشكل مباشر عموم المسلمين من جهة مناسباتهم الشرعية، أو مشاكلهم الاجتماعية والاقتصادية، ومحاولة علاجها في ضوء القرآن الكريم، وفق منهج علمي سليم.

ثالثًا: سيلحظُ القارئ الكريم أن هذه المجالس مختصرة في مادتها، مع مراعاة تناسبها في طول مادتها. وهذا التنوع يعود إلى منهج القرآن في تنوع موضوعاته، واختلافِ أساليبه في بناء القِيَم، وتصحيح الأخطاء.

رابعًا: اجتهدنا في ترتيب هذه المجالس على النحو الذي يراه القارئ الكريم، مع يقيننا بأن غيرنا قد يرى ترتيبًا آخر أجود منه.

ختامًا: ندعو إخواننا وأخواتنا الكرام -الذين شرفونا باقتناء هذا الكتاب أو غيره من إصدارات «تدبر»- ألا يبخلوا علينا بآرائهم واقتراحاتهم، ولهم منا وافر الدعاء، ومن الله جزيل الأجر والثواب.

وصلى الله وسلّم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

وكتب/ عمر بن عبدالله المقبل
omar@tadabbor.com
المستشار العلمي في مركز تدبر
وعضو هيئة التدريس بجامعة القصيم
٧/ ٧/ ١٤٣٤هـ



المجلس الأول

الفاتحة تجتث شجرة التشبه[1]

الحمد لله الذي أعزنا بدينه، وصلى الله وسلم على نبينا محمد، الذي أخرجنا الله به من دركات الكفر إلى منازل الإيمان العالية، وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد:

فإن الإسلام ربّى في أتباعه الاعتزاز بدينهم، ورَفْعَ الرأس به في كل محفل: ﴿وَلَا تَهِنُوا۟ وَلَا تَحْزَنُوا۟ وَأَنتُمُ ٱلْأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ آل عمران:١٣٩، ونهاهم عن التشبه بأعدائهم كما في الحديث الصحيح: «لتتبعن سنن من كان قبلكم، شبرا شبرا وذراعا بذراع، حتى لو دخلوا جحر ضب تبعتموهم»، قلنا: يا رسول الله، اليهود والنصارى؟ قال: «فمن»؟ [٢]، وفي السنن عن ابن عمر: «من تشبّه بقوم فهو منهم»[٣].

---

(١) للدكتور عمر بن عبدالله المقبل، الأستاذ المشارك في كلية الشريعة والدراسات الإسلامية بجامعة القصيم، نائب رئيس الهيئة العالمية لتدبر القرآن.
(٢) البخاري (٣٤٥٦)، مسلم (٢٦٦٩).
(٣) أبو داود (٤٠٣١).

ومع اتساع دائرة التواصل مع غير المسلمين في هذا العصر، فخليق بالمؤمن أن يتدبر المعاني التي تنفخ في روحه العزّة والفخر بهذا الدين، لا أن ينحني ويرضى بالدون حين يتشبه بمن نهاه الله ورسوله عن التشبه بهم، كما هو مشاهد من كثير من المسلمين اليوم، الذين بدت عليهم مظاهر التشبه بالكفار في اللباس، وبعض العادات ذات الأبعاد الدينية.

والمتأمل في كتاب الله تعالى يجد العلاج الرباني لهذه الظاهرة، في آيات شتى، من أعظمها: تدبرُ سورة الفاتحة، السبع المثاني، والقرآنُ العظيمُ الذي أوتيه نبينا ﷺ.

ذلك أن نصف هذه السورة ذهب في تقرير مسألة الاستقلال، والعزة بهذا الدين، والحذر من التشبه باليهود والنصارى -الذين ذكرهم ﷺ في الحديث الآنف الذكر- فكيف بغيرهما من الأمم التي لا كتاب لها، وليس لها من الأحكام التي تميزت بها الأمم الكتابية! وذلك في قوله تعالى: ﴿ ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ ۝٦ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمۡتَ عَلَيۡهِمۡ غَيۡرِ ٱلۡمَغۡضُوبِ عَلَيۡهِمۡ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ﴾ الفاتحة:٦ - ٧.

فأنت ترى كيف أمرنا في اليوم والليلة سبع عشرة مرة على الأقل بهذا الدعاء العظيم: ﴿ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ﴾ الذي سار عليه مَنْ: ﴿أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّۦنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَ﴾ النساء:٦٩، وتأكد بالبراءة من طريق الأمة اليهودية التي غضب عليها لتركها العمل بالعلم، وبالبراءة من طريق الأمة النصرانية التي عبدت الله تعالى على غير هدى ولا كتاب منير.

إن تدبر هذه السورة ليجتث شجرة التشبه من أصلها، لكن هل الذين يتشبهون بالكفار يدركون ويتدبرون ما يقرؤون؟!

ومن بدائع هذه الآية العظيمة: ﴿ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ﴾ أنها تضمنت سؤال العبد أن يهديه ربه إلى طريق الأنبياء جملةً وتفصيلًا، فهذا الدعاء يشمل الهداية إلى الصراط، وهو لزوم دين الإسلام، وترك ما سواه من الأديان، والهداية في نفس الصراط إذا وفق العبد لسلوكه، أي أن يُهدى لجميع التفاصيل الدينية علمًا وعملًا، ولهذا قال بعض العلماء: فهذا الدعاء من أجمع الأدعية وأنفعها للعبد، ولهذا وجب على الإنسان أن يدعو الله به في كل ركعة من صلاته، لضرورته إلى ذلك[١].

(١) ينظر: تفسير السعدي (٣٩).

وبما تقدم، ينفتح للمتدبر سرٌّ من أسرار هذه السورة العظيمة، التي أمرنا بقراءتها في كل ركعة، فهل نرى أثرها على حياتنا جميعًا، وعلى إخواننا وأخواتنا من الذين رضوا لأنفسهم بالدون حين تشبهوا بالكفار؟!

اللهم ارزقنا الاعتزاز بديننا، وأعذنا من التشبه بأعدائك..

وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.





المجلس الثاني

من هدايات قوله تعالى

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَقُولُواْ رَٰعِنَا وَقُولُواْ ٱنظُرۡنَا وَٱسۡمَعُواْۗ﴾[1]

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، أما بعد: فيقول الله تعالى في سورة البقرة: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَقُولُواْ رَٰعِنَا وَقُولُواْ ٱنظُرۡنَا وَٱسۡمَعُواْۗ وَلِلۡكَٰفِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ البقرة:١٠٤.

هذا أول نداء في القرآن لأهل الإيمان -حسب ترتيب المصحف-، وحريٌّ بمن كان حريصًا على الخير، راغبًا في الاهتداء بالقرآن أن يقف مع هذا النداء الكريم، ليفهم معناه، ويعرف مقاصده من خلال تدبر هذه الآية الكريمة. والقارئ لهذا النداء الرباني الكريم من غير تدبر له وتأمل في ألفاظه وتفكر في مقاصده؛ قد لا يفهم منه إلا أنه نهي للمؤمنين عن قول ﴿رَٰعِنَا﴾،

(١) للدكتور محمد بن عبدالله بن جابر القحطاني، الأستاذ المشارك في جامعة الملك خالد بأبها.

وأمر لهم بأن يقولوا بدلا عنه ﴿أَنظُرْنَا﴾، وأن يسمعوا ويستجيبوا، حتى لا يكونوا كالكافرين الذين أعد الله لهم العذاب الأليم.

وأما عند تدبر هذه الآية والتفكر فيها فسيجد أن هذا النداء المبارك قد اشتمل على أصل من أصول العقيدة، وعلى قاعدة من قواعد الشريعة، وأدب من الآداب الشريفة، وطريقة مهمة من طرائق التربية الرشيدة، وبيان ذلك فيما يلي:

أما الأصل العظيم من أصول العقيدة فهو النهي عن التشبه بالكفار في أقوالهم وأفعالهم؛ وذلك أن اليهود -عليهم لعائن الله- كانوا يتخيرون من الكلام ما فيه تورية لما يقصدونه من التنقيص والسباب، فإذا أرادوا أن يقولوا: (اسمع لنا) يقولون: ﴿رَاعِنَا﴾ يورّون بالرعونة، وهي في لغتهم سب وشتيمة، فنهى الله تعالى عباده المؤمنين عن التشبه باليهود في هذا القول.

ومعلوم أن من أصول عقيدتنا -أهل الإسلام- أن «من تشبه بقوم فهو منهم» كما أخبر الصادق المصدوق ﷺ. وفي هذا الخبر «دلالة على النهي الشديد والتهديد والوعيد، على التشبه بالكفار في أقوالهم وأفعالهم، ولباسهم وأعيادهم، وعباداتهم وغير ذلك من أمورهم التي لم تشرع لنا» كما قال الحافظ ابن كثير.

وأما القاعدة الكبيرة من قواعد الشريعة فهي قاعدة سد الذرائع، وذلك أن أهل الإيمان كانوا لا يقصدون بقولهم ﴿رَٰعِنَا﴾ إلا معناه المعروف عندهم وهو: أمهلنا، أو اسمع لنا، فنهوا عنه لما قد يترتب على استعمالهم له من مفسدة، وهي أن اليهود والمنافقين يقولونه على وجه الاستهزاء والمسبة. (والذريعة عبارة عن أمر غير ممنوع لنفسه يخاف من ارتكابه الوقوع في ممنوع) كما قال القرطبي.

وبناء على هذه القاعدة يُحكم على كل ذريعة إلى محرم ووسيلة إليه بالتحريم، ولهذا أمثلة كثيرة جدًا يصعب حصرها، ذكر الإمام ابن القيم منها تسعة وتسعين مثالًا في كتابه القيم «إعلام الموقعين»، وقرر أن سد الذرائع المفضية إلى الحرام أحد أرباع الدين.

وأما الأدب الشريف الذي يستفاد من هذا النداء فهو:

أدب انتقاء أنسب الألفاظ واختيار أحسن الأقوال؛ فلا يليق بأهل الفضل الحريصين على معالي الأمور أن يقولوا كلمة تحتمل معنى غير مناسب. وقد قال ربنا جل وعلا: ﴿وَقُل لِّعِبَادِى يَقُولُوا۟ ٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ۚ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ يَنزَغُ بَيْنَهُمْ ۚ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ كَانَ لِلْإِنسَٰنِ عَدُوًّا مُّبِينًا﴾ الإسراء:٥٣،

واللسان ميزان عقل الإنسان، وما يلفظه من الأقوال معيار لما يتصف به من الخصال، والقولُ السديد مع التقوى يصلح الله بهما الأعمال.

وأما الطريقة التربوية الرشيدة فهي إيجاد البدائل لما ننهى عنه قدر الإمكان، وهي طريقة ربانية نبوية مهمة.

فما من شيء محذور للناس به حاجة إلا وفي المباح عنه غنية وكفاية، والموفق من سلك سبيل الهدى، واختار من الأمور ما سلم من المحذور، وأرشد الناس إلى ما لا شبهة فيه ولا نزاع.

هذا باختصار بيان لبعض ما اشتمل عليه هذا النداء الرباني من المعاني الشريفة والمقاصد الرفيعة.

وربنا المسؤول أن يرفعنا وينفعنا ويهدينا بكتابه الكريم.

وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.





المجلس الثالث

﴿وَتَزَوَّدُوا۟ فَإِنَّ خَيْرَ ٱلزَّادِ ٱلتَّقْوَىٰ﴾

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، أما بعد:

فلقد وعظ الله تعالى عباده في كتابه فقال: ﴿وَتَزَوَّدُوا۟ فَإِنَّ خَيْرَ ٱلزَّادِ ٱلتَّقْوَىٰ﴾ البقرة:١٩٧ وفي هذا المعنى يقول ابن الجوزي[(١)]:

«ما أبله من لا يعلم متى يأتيه الموت، وهو لا يستعد للقائه! وأشد الناس بَلَهًا وتَغْفِيْلًا من قد عبر الستين، وقارب السبعين -فإن ما بينهما هو معترك المنايا، ومن نازل المعترك، استعد- وهو مع ذلك غافل عن الاستعداد.

قال الشباب: لعلنا في شيبنا ندع الذنوب، فما يقول الأشيب؟

(١) صيد الخاطر (٤٣٩).

والله إن الضحك الكثير من الشيخ ما له معنى، وإن المزاح منه بارد المعنى، وإن تعرضه بالدنيا -وقد دفعته عنها- يضعف القوى، ويضعف الرأي. وهل بقي لابن ستين منزل؟!

فإن طمع في السبعين؛ فإنما يرتقي إليها بعناء شديد: إن قام، دفع الأرض، وإن مشى، لهث، وإن قعد، تنفس، ويرى شهوات الدنيا، ولا يقدر على تناولها، فإن أكل، كد المعدة، وصعب الهضم، فهو يعيش عيش الأسير.

فإن طمع في الثمانين، فهو يزحف إليها زحف الصغير!

وعَشْـرُ الثمـانين مَنْ خاضهـا   فـإن المُلِمَّـاتِ فيهـا فنــونُ

فالعاقل من فهم مقادير الزمان؛ فإنه فيما قبل البلوغ صبي، ليس على عمره عيار[1]، إلا أن يرزق فطنة، ففي بعض الصبيان فطنة تحثهم من الصغر على اكتساب المكارم والعلوم.

(١) أي: وزن وكيل، والمعنى: ليس على عمره محاسبة ولا مؤاخذة، بل زمان الصبا والطفولة.

فإذا بلغ، فليعلم أنه زمان المجاهدة للهوى، وتعلم العلم، فإذا رزق الأولاد، فهو زمان الكسب للمعاملة، فإذا بلغ الأربعين، انتهى تمامه، وقضى مناسك الأجل، ولم يبق إلا الانحدار إلى الوطن.

كأنّ الفتى يَرْقى مِن العُمْر سُلّما إلى أن يجوز الأربعين ويَنْحَطُّ

فينبغي له عند تمام الأربعين أن يجعل جل همته التزود للآخرة، ويكون كل تلمحه لما بين يديه، ويأخذ في الاستعداد للرحيل، وإن كان الخطاب بهذا لابن عشرين، إلا أن رجاء التدارك في حق الصغير لا في حق الكبير.

فإذا بلغ الستين؛ فقد أعذر الله إليه في الأجل، وجاز من الزمن[1]، فليقبل بكلّيّته على جَمْعِ زاده، وتهيئة آلات السفر، وليعتقد أن كل يوم يحيا فيه غنيمة ما هي في الحساب، خصوصًا إذا قوي عليه الضعف وزاد، فإنه لا محرك كهوى، وكلما علت سنّه، فينبغي أن يزيد اجتهاده.

---

(١) أي: قطع أكثره.

فإذا دخل في عشر الثمانين، ليس إلا الوداع، وما بقي من العمر إلا أسف على تفريط، أو تعبد على ضعف.

نسأل الله عز وجل يقظةً تامةً، تصرف عنا رقاد الغفلات، وعملا صالحا نأمن معه من الندم يوم الانتقال.. والله الموفق.

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.





المجلس الرابع

من أسرار قوله تعالى

﴿وَعَسَىٰٓ أَن تَكۡرَهُواْ شَيۡـٔٗا وَهُوَ خَيۡرٞ﴾(١)

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، أما بعد:

فيقول الله تعالى: ﴿كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلۡقِتَالُ وَهُوَ كُرۡهٞ لَّكُمۡۖ وَعَسَىٰٓ أَن تَكۡرَهُواْ شَيۡـٔٗا وَهُوَ خَيۡرٞ لَّكُمۡۖ وَعَسَىٰٓ أَن تُحِبُّواْ شَيۡـٔٗا وَهُوَ شَرّٞ لَّكُمۡۚ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ وَأَنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ﴾ البقرة: ٢١٦.

قال العلامة ابن القيم رحمه الله: «في هذه الآية عدة حكم وأسرار، ومصالح للعبد، فإن العبد إذا علم أن المكروه قد يأتي بالمحبوب، والمحبوبَ قد يأتي بالمكروه، لم يأمن أن توافيه المضرة من جانب المسرة، ولم ييأس أن تأتيه المسرة من جانب المضرة؛ لعدم علمه بالعواقب، فإن الله يعلم منها ما لا يعلمه العبد، وأوجب له ذلك أمورًا منها:

(١) الفوائد لابن القيم: (١٣٦)

أنه لا أنفع له من امتثال الأمر، وإن شقَّ عليه في الابتداء؛ لأن عواقبه كلها خيرات ومسرات، ولذات وأفراح، وإن كرهته نفسه فهو خيرٌ لها وأنفع، وكذلك لا شيء أضر عليه من ارتكاب النهي، وإن هويته نفسه ومالت إليه، وإنّ عواقبه كلَّها آلام وأحزان، وشرور ومصائب، وخاصيةُ العقلِ تَحَمُّلُ الألمِ اليسير؛ لما يعقبه من اللذة العظيمة والخير الكثير، واجتنابُ اللذة اليسيرة لما يعقبه من الألم العظيم، والشر الطويل.

فنظر الجاهل لا يجاوز المبادئ إلى غاياتها، والعاقلُ الكيّس دائمًا ينظر إلى الغايات من وراء ستور مبادئها، فيرى ما وراء تلك الستور من الغايات المحمودة والمذمومة، فيرى المناهي كطعامٍ لذيذ قد خلط فيه سم قاتل، فكلما دعته لذته إلى تناوله، نهاه ما فيه من السُّم، ويرى الأوامر كدواء كريهِ المذاق، مُفْضٍ إلى العافية والشفاء. وكلما نهاه كراهةُ مذاقه عن تناوله، أَمَرَه نفعه بالتناول، ولكن هذا يحتاج إلى فضلِ علم تدرك به الغايات من مبادئها، وقوةُ صبر يوطّن به نفسه على تحمل مشقة الطريق؛ لما يؤمّل عند الغاية، فإذا فقد اليقين والصبر، تعذر عليه ذلك، وإذا قوي يقينه وصبره هان عليه كل مشقة يتحملها في طلب الخير الدائم، واللذة الدائمة.

ومن أسرار هذه الآية: أنها تقتضي من العبد التفويض إلى من يعلم عواقب الأمور سبحانه، والرضا بما يختاره له، ويقضيه له، لما يرجو فيه من حسن العاقبة.

ومنها: أنه لا يقترح على ربه ولا يختار عليه، ولا يسأله ما ليس له به علم، فلعل مضرته وهلاكه فيه -وهو لا يعلم-، فلا يختار على ربه شيئًا، بل يسأله حسن الاختيار له، وأن يرضيه بما يختاره، فلا أنفع له من ذلك.

ومنها: أنه إذا فوّض إلى ربه، ورضي بما يختاره له، أمدّه فيما يختاره له بالقوة عليه، والعزيمة والصبر، وصرف عنه الآفات التي هي عرضة اختيار العبد لنفسه، وأراه من حسنِ عواقب اختياره له ما لم يكن ليصل إلى بعضه بما يختاره هو لنفسه.

ومنها: أنه يريحه من الأفكار المتعبة في أنواع الاختيارات، ويفرغ قلبه من التقديرات والتدبيرات التي يصعد منها في عقبة، وينزل في أخرى، ومع هذا فلا خروج له عما قدر عليه، فلو رضي باختيار الله أصابه القدر وهو محمود مشكور، ملطوف به فيه، وإلا جرى عليه القدر وهو مذموم غير ملطوف به فيه؛ لأنه مع اختياره لنفسه.

ومتى صح تفويضه ورضاه، اكتنفه في المقدورِ العطفُ عليه، واللطف به، فيصير بين عطفه ولطفه، فعطفه يقيه ما يحذره، ولطفه يهوّن عليه ما قدره.

اللهم إنا نسألك العافية، ونسألك الرضا بعد القضا، وبرد العيش بعد الموت.

وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.





المجلس الخامس

من أسرار آية الكرسي[١]

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، أما بعد:

فمن المعلوم أن أفضل آية في كتاب الله تعالى هي آية الكرسي، كما أخبر بذلك النبي ﷺ في الحديث الصحيح[٢]: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُۚ لَا تَأۡخُذُهُۥ سِنَةٞ وَلَا نَوۡمٞۚ لَّهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۗ مَن ذَا ٱلَّذِي يَشۡفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذۡنِهِۦۚ يَعۡلَمُ مَا بَيۡنَ أَيۡدِيهِمۡ وَمَا خَلۡفَهُمۡۖ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيۡءٖ مِّنۡ عِلۡمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَۚ وَسِعَ كُرۡسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَۖ وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفۡظُهُمَاۚ وَهُوَ ٱلۡعَلِيُّ ٱلۡعَظِيمُ﴾ البقرة:٢٥٥، وخليق بالمؤمن أن يتأمل في أسرار هذه الآية التي فُضّلتْ على سائر آي القرآن، ومن قرأها في ليلة لم يزل عليه من الله حافظ، ولا يقربه شيطان حتى يصبح[٣].

(١) للعلامة العثيمين رحمه الله، ملخصًا من تفسيره للآية في كتابه: "تفسير سورتي الفاتحة والبقرة": (٣/ ٢٥٠).
(٢) مسلم ح (١٨٨٥).
(٣) البخاري ح (٢٣١١).

وهذه الآية مشتملة على عشر جمل؛ كل جملة لها معنى عظيم جدًا:

- ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾ الإله بمعنى المألوه، أي: المعبود حبًا وتعظيمًا؛ ولا أحد يستحق هذا الوصف إلا الله تعالى؛ وهو يدل على نفي الألوهية الحقة نفيًا عامًا قاطعًا إلا لله وحده.

- ﴿ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُ﴾ وهذان اسمان من أسمائه تعالى؛ جامعان لكمال الأوصاف والأفعال؛ فكمال الأوصاف في ﴿ٱلۡحَيُّ﴾؛ وكمال الأفعال في ﴿ٱلۡقَيُّومُ﴾؛ فـ﴿ٱلۡحَيُّ﴾ ذو الحياة الكاملة؛ التي لم تسبق بعدم، ولا يلحقها فناء، فهو سبحانه لم يزل، ولا يزال حيًا كاملًا في جميع أوصاف الكمال.

و﴿ٱلۡقَيُّومُ﴾ أي: القائم على نفسه فلا يحتاج إلى أحد من خلقه؛ والقائم على غيره فكلُّ أحدٍ محتاجٌ إليه. قال جمعٌ من السلف: هما الاسم الأعظمُ الذي إذا دعا به العبد أجيب؛ لأنهما تضمنا جميع الأسماء الحسنى؛ فصفة الكمال في ﴿ٱلۡحَيُّ﴾؛ وصفة الإحسان والسلطان في ﴿ٱلۡقَيُّومُ﴾.

- ﴿لَا تَأۡخُذُهُۥ سِنَةٞ وَلَا نَوۡمٞ﴾ أي لا يعتريه نعاس، ولا نوم؛ لكمال حياته وقيوميته.

- ﴿لَّهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ أي له وحده؛ ففي الجملة حصر، ففيها إثبات عموم ملكه سبحانه، وأنه لا يتصرف أحدٌ في ملكه بغير رضاه.

- ﴿مَن ذَا ٱلَّذِي يَشۡفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذۡنِهِۦ﴾؛ أي لا يملك أحدٌ يوم القيامة أن يجلب نفعًا أو يدفع ضرًا، ولو كان النبي ﷺ -وهو أعظم الناس جاهًا عند الله- إلا بإذنه سبحانه؛ لكمال سلطانه سبحانه وهيبته.

- ﴿يَعۡلَمُ مَا بَيۡنَ أَيۡدِيهِمۡ وَمَا خَلۡفَهُمۡ﴾؛ فهي تدل على سعة علمه سبحانه وتعالى، فهو يعلم الأشياء علمًا شاملًا لها جملة وتفصيلًا؛ ﴿يَعۡلَمُ مَا بَيۡنَ أَيۡدِيهِمۡ﴾ أي المستقبل؛ ﴿وَمَا خَلۡفَهُمۡ﴾ أي الماضي.

- ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيۡءٖ مِّنۡ عِلۡمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَ﴾ لها معنيان:

المعنى الأول: لا يحيطون بشيء من علم نفسه؛ أي: لا يعلمون عن من أسماء الله، وصفاته، وأفعاله، إلا بما شاء أن يعلمهم إياه، فيعلمونه.

المعنى الثاني: ولا يحيطون بشيء مما يعلمه في السموات والأرض إلا بما شاء أن يعلمهم إياه، فيعلمونه.

- ﴿وَسِعَ كُرۡسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ﴾؛ أي شمل، وأحاط، و«الكرسي» هو موضع قدمي الله سبحانه وتعالى؛ وهو بين يدي العرش كالمقدمة له؛ صح ذلك عن ابن عباس رضي الله عنه.

ـ ﴿وَلَا يَـُٔودُهُۥ﴾؛ أي لا يثقله، ويشق عليه ﴿حِفۡظُهُمَا﴾؛ أي حفظ السموات، والأرض، ففي هذه الجملة التنبيه على صفات العلم، والقدرة، والحياة، والرحمة، والحكمة، والقوة، لله تعالى.

ـ ﴿وَهُوَ ٱلۡعَلِيُّ ٱلۡعَظِيمُ﴾، ﴿ٱلۡعَلِيُّ﴾ أي: ذو العلو المطلق، وهو الارتفاع فوق كل شيء؛ و﴿ٱلۡعَظِيمُ﴾ أي ذو العظمة في ذاته، وسلطانه، وصفاته.

هذه عشر جملٍ اشتملت عليها هذه الآية العظيمة، فتدبروها -أيها المؤمنون- يزدد إيمانكم، ويعظم وقعها في قلوبكم.

وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.





المجلس السادس

من هدايات خواتيم سورة البقرة[1]

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، أما بعد:

فمن الآيات العظيمة، التي ورد في فضلها بعض الأحاديث، خواتيم سورة البقرة، يقول الله ﷻ: ﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّن رُّسُلِهِۦۚ وَقَالُواْ سَمِعۡنَا وَأَطَعۡنَاۖ غُفۡرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيۡكَ ٱلۡمَصِيرُ ﴿٢٨٥﴾ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفۡسًا إِلَّا وُسۡعَهَاۚ لَهَا مَا كَسَبَتۡ وَعَلَيۡهَا مَا ٱكۡتَسَبَتۡۗ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذۡنَآ إِن نَّسِينَآ أَوۡ أَخۡطَأۡنَاۚ رَبَّنَا وَلَا تَحۡمِلۡ عَلَيۡنَآ إِصۡرٗا كَمَا حَمَلۡتَهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِنَاۚ رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلۡنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِۦۖ وَٱعۡفُ عَنَّا وَٱغۡفِرۡ لَنَا وَٱرۡحَمۡنَآۚ أَنتَ مَوۡلَىٰنَا فَٱنصُرۡنَا عَلَى ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡكَٰفِرِينَ﴾ البقرة: ٢٨٥ - ٢٨٦.

وهاتان الآيتان جاءتا كالنتيجة لما ورد في السورة من الأحكام والتشريع، فكأنهما مشعرتان بحال المؤمنين مع ما جاء في السورة من

(١) د.محمد بن عبدالله الربيعة، عضو هيئة التدريس بجامعة القصيم، وعضو الهيئة العالمية لتدبر القرآن.

تكليفات وتشريعات، شهادة من الله تعالى لهم بقولهم واستجابتهم، ولهذا جاءت الآثار بفضلهما، ومنها:

ما أخرجه مسلم عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: «لما أسْريَ برسول الله ﷺ انْتُهِيَ به إلى سدرة المنتهى...» -وفيه- قال: «وأعطي رسول الله ﷺ ثلاثًا: أعْطِيَ الصلوات الخمس، وأعْطِي خواتيم سورة البقرة، وغفر لمن لم يشرك بالله...»[1].

وأخرج الإمام أحمد عن أبي ذر، قال: قال رسول الله ﷺ: «أعطيت خواتيم سورة البقرة من كنز تحت العرش، لم يعطهن نبي قبلي».

وفي الصحيحين عن أبي مسعود رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ: «من قرأ بالآيتين من آخر سورة البقرة في ليلة كفتاه»[2].

ولما نزلت الآية التي قبلهما وهي قوله تعالى: ﴿لِّلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۗ وَإِن تُبۡدُواْ مَا فِيٓ أَنفُسِكُمۡ أَوۡ تُخۡفُوهُ يُحَاسِبۡكُم بِهِ ٱللَّهُۖ﴾ البقرة:٢٨٤، اشتد ذلك على أصحاب رسول الله ﷺ فشكوا إلى رسول الله ﷺ فقال ﷺ: «أتريدون أن تقولوا كما قال أهل الكتابين من قبلكم سمعنا وعصينا؟ بل قولوا سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا وإليك المصير» فقالوا ذلك.

فأنزل الله هاتين الآيتين[3].

---

(١) أخرجه مسلم (١/ ١٥٧) رقم (١٧٣).
(٢) أخرجه البخاري(٤/ ٤٧٢) رقم (٣٧٨٦) ومسلم (١/ ٥٥٤) رقم (٨٠٧)..
(٣) أخرجه مسلم ١/ ١١٥ برقم ١٢٥ وأحمد ٢/ ٤١٢

أيها الإخوة:

هاتان الآيتان العظيمتان فيهما من المعاني ما يستحق إفرادهما بالبيان والتأمل؛ إذ هما كالنتيجة لما تضمنته السورة، فلا شك أنهما متضمنتان قواعد وأصولًا عظيمة، قال ابن القيم: «ختم السورة بهذه الخاتمة العظيمة التي هي من كنز تحت العرش، وفيها من العلوم والمعارف وقواعد الإسلام، وأصول الإيمان، ومقامات الإحسان ما يستدعي كتابًا مفردًا»[(١)].

ومما تضمنته الآيتان من القواعد والأصول ما يلي:

بيان أصول الإيمان المتعلقة بالوحي الدالة على كمال الإيمان بالتشريع والعمل به.

بيان ركني الإيمان الصحيح الكامل، وهما السمع والطاعة، المستلزمان للقبول التام والانقياد الكامل.

بيان القاعدة العظيمة المتضمنة رفع الحرج عن الأمة في التشريع، وهي قوله تعالى: ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ إظهارًا لكمال رحمة الله للأمة، وتكريمًا لها بعد كمال استجابتها، وإبرازًا لكمال دين الإسلام، بعثًا للنفوس على إكماله وتحذيرًا من تركه وإهماله. وقد بسط الله تعالى هذه القاعدة بأربعة أمور إظهارًا للكمال والرحمة، وهي تمثل قواعد في التشريع:

(١) طريق الهجرتين، (١/ ٥٥٩).

- العفو عن النسيان والخطأ.

- عدم التشديد عليهم بتحميلهم الإصر الذي حَمَّله من قبلهم.

- عدم تحميلهم مالا طاقة لهم به، وهذا كمال التخفيف.

- كمال العفو والمغفرة والرحمة، وهذا من كمال الرحمة بالأمة.

ختم الآية بما يدل على حيازة المؤمنين لولاية الله تعالى واستحقاقهم لنصره. وقد جاء ذلك على وجه الدعاء من المؤمنين تأكيدًا على قيامهم بالدين الذي أكرمهم الله به، ورغبة في نشره والدفاع عنه.

نسأل الله تعالى أن يجعلنا من أوليائه المفلحين.

وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.





المجلس السابع

من هدايات قوله تعالى

﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ﴾(١)

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، أما بعد:

فيقول الله تعالى: ﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ ۖ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِى ٱلْأَمْرِ ۖ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ ﴾ آل عمران:١٥٩.

وردت الآيات السابقة لهذه الآية في حالِ مَنْ انهزموا يوم أُحُدٍ، وتضمنت تلك الآيات الكريمة استحقاقهم للوم والعتاب؛ حيث تولوا منهزمين، وتركوا رسول الله ﷺ تجاه العدو، ولو جرى معهم رسول الله ﷺ على ما يستحقون، لقابلهم بالعتاب والتوبيخ، ولكنه لاقاهم برفق،

(١) للشيخ العلامة محمد الخضر حسين، ضمن المجموعة الكاملة لمؤلفاته (١/ ٣٨٩)، بتصرف واختصار.

ولم يواجههم باللوم، وذلك معنى قوله تعالى: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ﴾ والفظاظة: الخشونة. وغلظ القلب: قسوته. والانفضاض: الانصراف.

والمعنى: لو كنت خشنًا في قولك أو فعلك، قاسي القلب، لانصرفوا من مجلسك، ولَمَا استضاؤوا بنور هديك، وكأن الآية تقول: هو ليّن في قوله وفعله، ولينه هذا لم يصدر عن أمرٍ عارض من نحو رغبةٍ أو رهبة، بل كان عن طبيعةٍ كريمة النفس.

فلِيعتبر في هذه الآية من يتولى أمرًا يستدعي أن يكون بجانبه أصحابٌ يظاهرونه عليه، حتى يعلم يقينًا أن قوةَ الذكاء وغزارة العلم وسعة الحياة وعظم الثروة، لا تكسبه أنصارًا مخلصين، ولا تجمع عليه من فضلاء الناس من يثق بصحبتهم إلا أن يكون صاحب خلقٍ كريم من اللين والصفحِ والاحتمال.

ثم قال سبحانه: ﴿فَٱعْفُ عَنْهُمْ﴾ والعفو: عدم المؤاخذة على الإساءة مع القدرة على المؤاخذةِ عليها، فأُمر ﷺ بالعفو، وإنما كان يعفو عما يختص به من الحقوق؛ كأن يؤذيه شخصٌ في مال، أو يسيء إليه بكلمة جافية لا تبلغ حد الكفر، وأما الإساءة فيما هو حقٌ لله؛ كترك صلاةٍ أو صيامٍ أو شرب خمر، فلا يملك العفو عنه إلا الله.

﴿وَٱسۡتَغۡفِرۡ لَهُمۡ﴾: أي: اطلب لهم من الله المغفرة للذنوب المتعلقة بحقوقه ﷻ، وأما الجنايات المتعلقة بحقوق العباد فأمرُ العفوِ عنها متعلق بالمجني عليهم.

﴿وَشَاوِرۡهُمۡ فِي ٱلۡأَمۡرِ﴾: أي: راجعهم في الأمر؛ لترى رأيهم فيه. والمراد من الأمر: ما يعرض من أمور الدنيا؛ من نحو تدبير الحروب، وأما أمور الدين، فقد أغناه الله عن الشورى فيها بما ينزل عليه من الوحي، أو بالاجتهاد الذي ينظر فيه بنور الله.

وهذه الآية قررت أصلًا عظيمًا من أصول السياسة الرشيدة، وهو: أن لا يستبد ولي الأمر في تصريف الأمور دون أن يأخذ رأي أولي العلم، وقد قررت هذا الأصل بأبلغ وجه؛ إذ وجهت الأمر فيه إلى أكبر الناس عقلًا، وأعرفهم بطرق المصالح، وأقلهم حاجة إلى الاستعانة برأي غيره، وهو أكمل الخليقة -صلوات الله وسلامه عليه- فليس لأحد بعد هذا أن يتخيل أنه في غنى عن المشاورة بما أوتيه من كمال العقل، وسداد الرأي.

وفي الشورى فوائد، منها:

- استبانة الرأي الحق من بين آراء متعددة.

- وفيها تطييب خواطر مَنْ يهمهم أن يُدَبَّرَ الأمرُ على بصيرة.

- وفيها تأليف قلوبهم بما في مراجعة ولي الأمر لهم من التنبيه على رفعة أقدارهم في نظره.

ثم قال تعالى: ﴿فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ﴾:

والآية ظاهرة في أن التوكل يكون عند تعاطي الأسباب، فقد أمرتْ بالتوكل عند العزمِ على العمل، فهنالك عزمٌ وعمل يقارنهما التوكل، وفي هذا ردٌّ على أن التوكل نفضُ اليدِ من الأسباب جملة.

رزقنا الله وإياكم التأدب بهدي كتابه، ووفقنا لأرشد أمرنا، والحمد لله رب العالمين.

وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.





المجلس الثامن

من فوائد قصة آدم وإبليس[1]

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، أما بعد:

فإن الله تعالى حين أتم نعمته على آدم بأن خلق منه زوجته حواء؛ ليسكن إليها، حذّره وزوجَه من الشيطان غاية التحذير، حتى لا يخرجهما من الجنة التي أسكنهما الله إياها، وأباح أن يأكلا من جميع ثمارها، إلا شجرة معينة حرمها عليهما، فقال: ﴿فَكُلَا مِنْ حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ الأعراف:١٩.

وقال الله لآدم: ﴿إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعْرَىٰ ﴿١١٨﴾ وَأَنَّكَ لَا تَظْمَؤُا۟ فِيهَا وَلَا تَضْحَىٰ﴾ طه:١١٨ - ١١٩، فمكثا في الجنة ما شاء الله أن يمكثا، وعدوهما يراقبهما ويرصدهما، وينظر الفرصة فيهما، فلما رأى سرور آدم بهذه الجنة، ورغبته العظيمة في دوامها، جاءه بصورة الصديق الناصح، فقال: ﴿يَٰٓـَٔادَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَىٰ شَجَرَةِ ٱلْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَّا يَبْلَىٰ﴾ طه:١٢٠.

---

(١) للعلامة السعدي، تيسير اللطيف المنان، (ص: ٢٦٣ - ٢٦٩) بتصرف.

فلم يزل يوسوس ويزين، ويُمَنّي ويلقي عليهما من النصائح الظاهرة -وهي أكبر الغش- حتى غرهما فأكلا من الشجرة التي نهاهما الله عنها، فلما أكلا منها بدت لهما سوآتهما بعدما كانا مستورين، وبدءَا يلزقان على أبدانهما العارية من ورق الجنة؛ ليكون بدل اللباس، وسُقِطَ في أيديهما، وظهرت في الحال عقوبة معصيتهما، وناداهما ربهما: ﴿أَلَمۡ أَنۡهَكُمَا عَن تِلۡكُمَا ٱلشَّجَرَةِ وَأَقُل لَّكُمَآ إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ لَكُمَا عَدُوّٞ مُّبِينٞ﴾ الأعراف:٢٢، فأوقع الله في قلبيهما التوبة التامة، والإنابة الصادقة: ﴿فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٖ فَتَابَ عَلَيۡهِۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ﴾ البقرة:٣٧، وقالا: ﴿قَالَا رَبَّنَا ظَلَمۡنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمۡ تَغۡفِرۡ لَنَا وَتَرۡحَمۡنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ﴾ الأعراف:٢٣.

فتاب الله عليهما، ولكن الأمر الذي حذرهما الله منه -وهو الخروج من هذه الجنة إن تناولا منها- تحتّم ومضى، فخرجا منها إلى الأرض التي حشي خيرها بشرها، وسرورها بكدرها، وأخبرهما الله أنه لا بد أن يبتليهما وذريتهما، وأن من آمن وعمل صالحًا كانت عاقبته خيرًا من حالته الأولى، ومن كذّب وتولّى فآخر أمره الشقاء الأبدي والعذاب السرمدي، وحذّر الله الذرية منه، وأبدلهم الله بذلك اللباس ـ الذي نزعه الشيطان من الأبوين ـ بلباسين:

لباسٍ يواري السوآت، ويحصل به الجمال الظاهر في الحياة.

ولباسٍ أعلى من ذلك: وهو لباس التقوى، الذي هو لباس القلب والروح بالإيمان والإخلاص والإنابة، والتحلي بكل خلق جميل، والتخلّي عن كل خلق رذيل.

هذه القصة العظيمة ـ أيها المؤمنون ـ ذكرت في مواضع كثيرة من القرآن، وقد اشتملت على فوائد كثيرة منها:

فضيلة العلم، وأن الملائكة لما تبين لهم فضل آدم بعلمه عرفوا بذلك كماله، وأنه يستحق الإجلال والتوقير.

ومنها: أن مَنْ مَنّ الله عليه بالعلم، فعليه أن يعترف بنعمة الله عليه، وأن يقول كما قالت الملائكة والرسل: ﴿سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَآ﴾ البقرة:٣٢، وأن يتوقى التكلم بما لا يعلم، فإن العلمَ أعظمُ المنن، وشكرُ هذه النعمةِ الاعترافُ لله بها، والثناءُ عليه بتعليمها، وتعليمُ الجهال، والوقوفُ على ما علمه العبد، والسكوت عما لم يعلمه.

ومنها: أن الله جعل هذه القصة لنا معتبرًا، وأن الحسدَ والكبرَ والحرصَ من أخطر الأخلاق على العبد، فَكِبْرُ إبليسَ وحسدُه لآدم صيّره إلى ما ترى، وحِرْصُ آدم وزوجُه حملهما على تناول الشجرة، ولولا تدارك رحمة الله لهما لأَوْدَت بهما إلى الهلاك، ولكن رحمة الله تكمل الناقص، وتجبر الكسير، وتنجي الهالك، وترفع الساقط.

ومنها: أنه ينبغي للعبد إذا وقع في ذنب أن يبادر إلى التوبة والاعتراف، ويقول ما قاله الأبوان من قلب خالص، وإنابة صادقة؛ فما قص الله علينا صفة توبتهما إلا لنقتدي بهما، فنفوز بالسعادة، وننجو من الهلكة؛ وكذلك ما أخبرنا بما قاله الشيطانُ من تَوَعّدِنا، وعزمه الأكيد على إغوائنا بكل طريق، إلا لنستعد لهذا العدو الذي تظاهر بهذه العداوة البليغة المتأصلة.

واللهُ يحبّ منا أن نقاومه بكل ما نقدر عليه من تجنب طرقه وخطواته، وفعل الأسباب التي يخشى منها الوقوع في شباكه، ومن عمل الحصون من الأوراد الصحيحة، والأذكار القلبية، والتعوذات المتنوعة، ومن السلاح المهلك له من صدق الإيمان، وقوةِ التوكل على الله، ومراغمته في أعمال الخير، ومقاومة وساوسه والأفكار الرديئة التي يدفع بها إلى القلب كل وقت بما يضادها، ويبطلها من العلوم النافعة والحقائق الصادقة.

اللهم ارزقنا الاعتبار والادكّار، وأعدنا إلى جنة الخلد، مع الذين أنعمت عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين، وحسن أولئك رفيقا.

وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.





المجلس التاسع

﴿ وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ ﴾[1]

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، أما بعد.

فإن الحديث ههنا سيكون حول قول الله تعالى: ﴿ وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ ﴾ الأنفال:٦٣ فهذه آية عظيمة تذكر بنعمةٍ جسيمةٍ يُسْتوجَب شُكْرُها، ويُسْتَنْكَرُ كُنُودُها.

تلك هي نعمة الألفة، وتقاربِ القلوب، ومحبةِ الناس بعضهم بعضًا. والعجيب أن كثيرًا من النعم التي نتقلب فيها صباحًا ومساءً لا نعرف قدرها إلا عند فقدها.

ومن تلك النِعم نعمةُ تآلف القلوب، وعَطْفِ بعضها على بعض، ومودة بعضها بعضًا.

ولو وقفت مع نفسك، وسألتها: ما الذي ألَّف بين قلبك وقلوبِ كثيرين ممن تعرفهم من أقارب لك، وأباعد منك؛ لأدركت أن ذلك محض فضل الله عز وجل.

---

(١) للدكتور محمد بن إبراهيم الحمد، الأستاذ المشارك في جامعة القصيم.

ثم تأمل في السعادة التي تغمرك، والأجور والمصالح التي تجنيها من جَرَّاء تلك المحبة والألفة.

وإذا أردت أن تتصور عِظَمَ تلك النعمة فاسأل نفسك: ما مصيرُك لو زالت تلك النعمةُ أو بعضُها؟

وما موقفك لو زالت تلك الألفة بينك وبين أصدقائك، أو أقربائك، من وَالِدَيْنِ، أو أولادٍ، أو إخوانٍ، أو معارف؟

وماذا سيكون طعم الحياة إذا خَلَتْ من معاني الألفة؟

إنها ستكون كالملح الأجاج، وكالماء الزُّعَاق.

وإنك لترى في حياة الناس نماذجَ لذلك؛ حيث زالت المودة بين أناس أشد ما يكونون قرابة كالآباءمع بعض أبنائهم، وكالإخوة والجيران والأصدقاء فيما بينهم. وربما بُذِلَت في سبيل إعادة المياه إلى مجاريها جهود، وأموال، وشفاعات في غير طائل.

ومن هنا ندرك نعمة الألفة، وأنها محض فضل الله عز وجل.

وهذا بدوره يدعونا إلى أن نرعى تلك النعمة حق رعايتها، وذلك بالحرص على تحقيق التقوى، والبعد عن المعاصي.

ولهذا امتن الله عز وجل على نبيِّه بهذه النعمة الكبرى؛ فَقَرَنَها بكونه _تبارك وتعالى_ كافِيَه، ومؤيدَه بنصره، ونصرِ المؤمنين.

والتأليف بين قلوب المؤمنين منةٌ أخرى على الرسول ﷺ إذ جعل أتباعه متحابين؛ وذلك أعون له على سياستهم، وأرجى لاجتناء النفع بهم؛ بحيث يكونون على قلب رجل واحد.

وكما أن ذلك مِنَّةٌ من الله على رسوله ﷺ، فهو كذلك مِنَّةٌ على المؤمنين؛ إذ نَزَعَ من قلوبهم الأحقاد والإِحَنَ التي كانت دأب الناس في الجاهلية؛ فكانت سببَ التقاتل بين القبائل بعضها مع بعض، وبين بطون القبيلةِ الواحدةِ. فلما آمنوا بمحمد انقلبت البغضاء بينهم مودة، كما قال تعالى: ﴿وَٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ إِذۡ كُنتُمۡ أَعۡدَآءٗ فَأَلَّفَ بَيۡنَ قُلُوبِكُمۡ فَأَصۡبَحۡتُم بِنِعۡمَتِهِۦٓ إِخۡوَٰنٗا﴾ آل عمران:١٠٣.

وما كان ذلك التآلف والتحاب -كما يقول ابن عاشور- إلا بتقدير الله تعالى فإنه لم يحصل من قبل بوشائج الأنساب، ولا بِدَعوات ذوي الألباب، ولا ببذل الطائل من الأموال ولو كان جميع ما في الأرض.

ولكن الله أَلَّف بينهم بعزته وقدرته؛ فهو عز وجل قويُّ القدرة؛ فلا يعجزه شيء، مُحْكِمُ التكوين؛ فيجعل المتعذر كالأمر المسنون المألوف؛ فكان ذلك التأليف بينهم آيةً من آيات هذا الدين.

فهذا سر من أسرار تلك الآية العظيمة يتبين من خلاله عِظَمُ شأنِ تآلف القلوب، وأَثَرُه في ترابط المسلمين وسعادتهم، وعِزَّتهم، وهيبتهم، وتقويةِ آصرتهم.

اللهم ألف بين قلوبنا، وأصلح ذات بيننا.

وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.





المجلس العاشر

﴿خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ﴾[1]

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، أما بعد:

فمن جوامع الكلم القرآنية، ما خُتِمَتْ به سورة الأعراف، في وصية من الله لنبيه ﷺ حيث يقول: ﴿خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ﴾ الأعراف:١٩٩.

قال القرطبي: «هذه الآية من ثلاث كلمات، تضمنت قواعد الشريعة في المأمورات والمنهيات.

فقوله: ﴿خُذِ ٱلْعَفْوَ﴾ دخل فيه صلةُ القاطعين، والعفو عن المذنبين، والرفق بالمؤمنين، وغيرُ ذلك من أخلاق المطيعين.

ودخل في قوله: ﴿وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ﴾ صلةُ الأرحام، وتقوى الله في الحلال والحرام، وغض الأبصار، والاستعداد لدار القرار.

(١) للقرطبي في تفسيره (٧/ ٣٧٥) باختصار.

وفي قوله: ﴿وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ﴾ الحضُ على التعلق بالعلم، والإعراض عن أهل الظلم، والتنزه عن منازعة السفهاء، ومساواة الجهلة الأغبياء، وغير ذلك من الأخلاق الحميدة والأفعال الرشيدة.

وهذه الخصال تحتاج إلى بسط، وقد جمعها رسول الله ﷺ لجابر بن سليم رضي الله عنه.

قال جابر بن سليم، أبو جُرَيٍّ رضي الله عنه: ركبت قعودي ثم أتيت إلى مكة، فطلبت رسول الله ﷺ، فأنخت قعودي بباب المسجد، فدلوني على رسول الله ﷺ، فإذا هو جالس، عليه بُرْدٌ من صوف، فيه طرائقُ حُمْر، فقلت: السلام عليك يا رسول الله. فقال: «وعليك السلام». فقلت: إنا معشر أهل البادية، قوم فينا الجفاء، فعلمني كلمات ينفعني الله بها. قال: «ادن» ثلاثًا، فدنوت فقال: «أعد علي»، فأعدت عليه فقال: «اتق الله! ولا تحقرن من المعروف شيئًا، ولو أن تلقى أخاك بوجه منبسط، وأن تفرغ من دلوك في إناء المستسقي، وإنْ امرؤٌ سبّك بما لا يعلم منك فلا تسبه بما تعلم فيه، فإن الله جاعل لك أجرًا، وعليه وزرًا، ولا تسبنّ شيئًا مما خولك الله تعالى» قال أبو جري: فو الذي نفسي بيده، ما سببتُ بعده شاةً ولا بعيرًا [1].

---

(١) البزار ح (١٩٧٧)، وأحمد ح (٢٠٦٣٢)، وصححه ابن حبان (٥٢٢)، والحاكم (١/ ١٢٤).

وروى البخاري من حديث عبد الله بن الزبير في قوله: ﴿خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ﴾ قال: ما أنزل الله هذه الآية إلا في أخلاق الناس.

وقال جعفر الصادق: أمر الله نبيه بمكارم الأخلاق في هذه الآية، وليس في القرآن آية أجمع لمكارم الأخلاق من هذه الآية.

الثانية: قوله تعالى: ﴿وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ﴾ أي بالمعروف، وهو كل خصلة حسنة ترتضيها العقول، وتطمئن إليها النفوس. قال الشاعر:

من يفعل الخير لا يعدم جوازيه... لا يذهب العرف بين الله والناس

الثالثة: قوله تعالى: ﴿وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ﴾ أي: إذا أقمت عليهم الحجة، وأمرتهم بالمعروف، فجهلوا عليك فأعرض عنهم، صيانةً له عليهم ورفعا لقدره عن مجاوبتهم.

وهذا وإن كان خطابًا لنبيه عليه الصلاة والسلام، فهو تأديبٌ لجميع خلقه.

روى البخاري عن ابن عباس -رضي الله عنهما- قال: قَدِمَ عيينة بن حصن، فنزل على ابن أخيه الحُرِّ بن قيس بن حصن -وكان من النفر الذين يدنيهم عمر رضي الله عنه- وكان القُرّاء أصحاب مجالس عمر ومشاورته، كهولًا كانوا أو شبانا، فقال عيينة لابن أخيه: يا بن أخي، هل

لك وجه عند هذا الأمير، فتستأذن لي عليه؟ قال: سأستأذن لك عليه، فاستأذن لعيينة، فلما دخل قال: يا بن الخطاب، والله ما تعطينا الجزل، ولا تحكم بيننا بالعدل! قال: فغضب عمر حتى هم بأن يقع به! فقال الحُرُّ: يا أمير المؤمنين، إن الله قال لنبيه ﷺ: ﴿خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ﴾ وإن هذا من الجاهلين، فوالله ما جاوزها عمر حين تلاها عليه، وكان وقّافًا عند كتاب الله سبحانه وتعالى.

وهكذا شأن المؤمن، يهتدي بالقرآن في غضبه ورضاه، فاللهم اجعلنا من الوقّافين عند حدودك، الحافظين لعهودك، العاملين بكتابك.

وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.





المجلس الحادي عشر

من فضائل الصديق رضي الله عنه في ضوء قوله تعالى ﴿ثَانِيَ ٱثۡنَيۡنِ﴾[1]

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، أما بعد:

فيقول الله تعالى: ﴿إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدۡ نَصَرَهُ ٱللَّهُ إِذۡ أَخۡرَجَهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ثَانِيَ ٱثۡنَيۡنِ إِذۡ هُمَا فِي ٱلۡغَارِ إِذۡ يَقُولُ لِصَٰحِبِهِۦ لَا تَحۡزَنۡ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا﴾ التوبة: ٤٠.

لما بايع الرسول ﷺ أهل العقبة أمر أصحابه بالهجرة إلى المدينة، علمت قريش أن أصحابه قد كثروا، وأنهم سيمنعونه فأعملت آراءها في استخراج الحيل، فمنهم من رأى الحبس، ومنهم من رأى النفي، ثم اجتمع رأيهم على القتل، فجاء الخبر من السماء، وأمره أن يفارق المضجع، فبات عليٌّ رضي الله عنه مكانه، ونهض الصديق لرفقة السفر، فكانت الوجهة للغار، فبدأ الصديق بدخوله؛ ليكون وقايةً له إنْ كان ثَمّ مُؤذٍ، فلما وقف القوم على رؤوسهم،

(١) الفوائد لابن القيم: (٧٤)، باختصار وتصرف يسير.

وصار كلامهم بِسَمْعِ الرسول ﷺ والصديق، قال الصديق -وقد اشتد به القلق-: يا رسول الله! لو أن أحدهم نظر إلى ما تحت قدميه لأبصرنا! فقال رسول الله ﷺ: «يا أبا بكر ما ظنك باثنين الله ثالثهما»[1]!.

لما رأى الرسول حزنه قد اشتد -لكن ليس على نفسه- قوّى قلبه ببشارة: ﴿لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا﴾ فظهر سر هذا الاقتران في المعية لفظًا، كما ظهر حُكمًا ومعنى، إذْ يقال: رسولُ الله، وصاحبُ رسولِ الله، فلما مات، قيل: خليفةُ رسول الله، ثم انقطعت إضافة الخلافة بموته، فقيل: أمير المؤمنين.

فأقاما في الغار ثلاثًا، ثم خرجا منه، فلما استقلا على البيداء لحقهما سراقة بن مالك، فلما شارف الظفر، أرسل عليه الرسول ﷺ سهمًا من سهام الدعاء، فساخت قوائم فرسه في الأرض إلى بطنها، فلما علم أنه لا سبيل له عليهما، أخذ يعرض المال على من قد ردّ مفاتيح الكنوز ﷺ، ويُقدم الزاد إلى من أشبعه الله.

كانت تُحفة ﴿ثَانِيَ اثْنَيْنِ﴾ مُدّخرةً للصديق رضي الله عنه دون الجميع:

فهو الثاني في الإسلام، وفي بذل النفس، وفي الزهد، وفي الصحبة، وفي الخلافة، وفي العمر، وفي سبب الموت؛ لأن الرسول ﷺ مات عن أثر السم، وأبو بكر سُمَّ فمات، أسلم على يديه من العشرة: عثمانُ، وطلحةُ، والزبيرُ،

---

(١) البخاري (٤٦٦٣)، مسلم (٢٣٨١).

وعبدُالرحمنِ بن عوف، وسعدُ بن أبي وقاص، وكان عنده يوم أسلم أربعون ألف درهم، فأنفقها أحوج ما كان الإسلام إليها، فلهذا قال ﷺ: «ما نفعني مال ما نفعني مال أبي بكر»[1]، فهو خيرٌ من مؤمن آل فرعون؛ لأن ذلك كان يكتم إيمانه، والصديقُ أعلن به، وهو خيرٌ من مؤمن آل ياسين؛ لأن ذلك جاهد ساعة، والصديقُ جاهد سنين.

نطقت بفضله الآيات والأخبار، واجتمع على بيعته المهاجرون والأنصار، فيا مبغضيه في قلوبكم من ذكره نار، كلما تليت فضائله علا عليهم الصغار! أترَى لم يسمعِ الروافضُ: ﴿ثَانِىَ ٱثۡنَيۡنِ إِذۡ هُمَا فِى ٱلۡغَارِ﴾؟

دعي إلى الإسلام فما تلعثم ولا أبى، وسار على المحجة فما زل ولا كبا، وصبر في مدته من مدى العدى على وقع الشبا، وأكثرَ في الإنفاق فما قلل حتى تخلل بالعبا!

تالله لقد زاد على السبك في كل دينار دينار: ﴿ثَانِىَ ٱثۡنَيۡنِ إِذۡ هُمَا فِى ٱلۡغَارِ﴾.

من كان قرين النبي في شبابه؟ من ذا الذي سبق إلى الإيمان من أصحابه؟ من الذي أفتى بحضرته سريعا في جوابه؟ من أول من صلى معه؟ من آخر من صلى به؟ من الذي ضاجعه بعد الموت في ترابه؟ فاعرفوا حق الجار.

---

(١) الترمذي (٣٦٦١) وصححه ابن حبان (٦٨٥٨).

نهض يوم الردة بفهم واستيقاظ، وأبان من نص الكتاب معنىً دق عن حديد الألحاظ، فالمحب يفرح بفضائله، والمبغض يغتاظ.

كم وقى الرسول بالمال والنفس؟ وكان أخص به في حياته، وهو ضجيعه في الرمس. فضائلُه جليّة، وهي عن اللبس خَلِيّة!

لقد دخلا غارًا لا يسكنه لابث، فاستوحش الصديق من خوف الحوادث، فقال الرسول ﷺ: «ما ظنك باثنين، والله الثالث؟»[1]، فنزلت السكينة، فارتفع خوف الحادث، فزال القلق وطاب عيش الماكث، فقام مؤذن النصر ينادي على رؤوس منائر الأمصار: ﴿ثَانِيَ ٱثۡنَيۡنِ إِذۡ هُمَا فِي ٱلۡغَارِ﴾.

والله ما أحببناه لهوانا، ولا نعتقد في غيره هوانا، ولكن أخذنا بقول علي وكفانا: «رضيك رسول الله لديننا، أفلا نرضاك لدنيانا»[2].

اللهم ارض عن الصديق، واجمعنا به في دار كرامته.

وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.



(١) البخاري (٤٦٦٣)، مسلم (٢٣٨١).

(٢) أخرجه الخلال في "السنة" (١ / ٢٧٣)، والآجري في الشريعة (٤ / ١٧١٢).



المجلس الثاني عشر

الواعظ العظيم في أول سورة هود [1]

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، أما بعد:

فيقول العلامة الشنقيطي رحمه الله في تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا ۚ كُلٌّ فِي كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ۝٦ وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ وَكَانَ عَرْشُهُۥ عَلَى ٱلْمَآءِ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ۗ وَلَئِن قُلْتَ إِنَّكُم مَّبْعُوثُونَ مِنۢ بَعْدِ ٱلْمَوْتِ لَيَقُولَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ﴾ هود: ٦ - ٧.

اعلم أن الله تبارك وتعالى ما أنزل من السماء إلى الأرض واعظًا أكبر، ولا زاجرًا أعظم مما تضمنته هذه الآيات الكريمة وأمثالها في القرآن، من أنه تعالى عالم بكل ما يعمله خلقه، رقيب عليهم، ليس بغائب عما يفعلون.

(١) أضواء البيان ٣/ ٩ للعلامة الشنقيطي.

وضرب العلماء لهذا الواعظ الأكبر، والزاجر الأعظم مثلًا؛ ليصير به كالمحسوس، فقالوا: لو فرضنا أن ملكًا قتّالًا للرجال، سفّاكًا للدماء شديد البطش والنكال على من انتهك حرمته ظلمًا، وسيافه قائم على رأسه، والنطع مبسوط للقتل، والسيف يقطر دمًا، وحول هذا الملك الذي هذه صفته جواريه وأزواجه وبناته، فهل ترى أن أحدًا من الحاضرين يهتم بريبة أو بحرام يناله من بنات ذلك الملك وأزواجه، وهو ينظر إليه، عالم بأنه مطلع عليه؟! لا، وكلا! بل جميع الحاضرين يكونون خائفين، وجلة قلوبهم، خاشعة عيونهم، ساكنة جوارحهم خوفًا من بطش ذلك الملك.

ولا شك -ولله المثل الأعلى- أن رب السموات والأرض جل وعلا أشد علمًا، وأعظم مراقبة، وأشد بطشًا، وأعظم نكالا وعقوبة من ذلك الملك، وحماه في أرضه محارمه. فإذا لاحظ الإنسان الضعيف أن ربه جل وعلا ليس بغائب عنه، وأنه مطلع على كل ما يقول وما يفعل وما ينوي، لان قلبه؛ فخشي الله تعالى، وأحسن عمله لله جل وعلا.

ومن أسرار هذه الموعظة الكبرى، أن الله تبارك وتعالى صرح بأن الحكمة التي خلق الخلق من أجلها هي أن يبتليهم أيهم أحسن عملًا، ولم يقل: أيهم أكثر عملًا، فالابتلاء في إحسان العمل، كما قال تعالى في هذه السورة الكريمة: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ وَكَانَ عَرْشُهُۥ عَلَى ٱلْمَآءِ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ هود:٧ الآية.

وقال في الملك: ﴿ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفُورُ﴾ الملك:٢.

ولا شك أن العاقل إذا علم أن الحكمة التي خلق من أجلها هي أن يبتلى -أي يختبر: بإحسان العمل- فإنه يهتم كل الاهتمام بالطريق الموصلة لنجاحه في هذا الاختبار، ولهذه الحكمة الكبرى سأل جبريل النَّبي ﷺ عن هذا ليعلمه لأصحاب النَّبي ﷺ فقال: «أخبرني عن الإحسان»، أي وهو الذي خلق لأجل الاختيار فيه، فبين النَّبي ﷺ أن الطريق إلى ذلك هي هذا الواعظ، والزاجر الأكبر

الذي هو مراقبة الله تعالى، والعلم بأنه لا يخفى عليه شيء مما يفعل خلقه، فقال له: «الإحسان أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك»(١) انتهى كلامه:.

وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.



(١) رواه مسلم ح (٨).



المجلس الثالث عشر

من أسرار قوله تعالى

﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ﴾[1]

الحمد لله الذي أنزل القرآن، وتكفل بحفظه، والسعادة لمن اتبعه، والصلاة والسلام على خيرته من خلقه ورسله، أما بعد:

فإن من أعظم نعم الله تعالى على العباد -بعد إنزال القرآن- أنه تكفّل بحفظه، كما قال تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ﴾ الحجر:٩، وهذه الآية الكريمة تضمنت جملةً من الفوائد، منها:

الأولى، والثانية: أن القرآن كلام الله غير مخلوق، وأن الله تعالى عليٌّ على خلقه، وهذا مأخوذ من قوله: ﴿نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ﴾ فإنه نزل به جبريل من الله العزيز العليم؛ فكونه نازلًا من عند الله يدل على علو الله، وكونه أيضًا من عنده يدل على أنه كلام الله؛ فإن الكلام صفة للمتكلم ونعت من نعوته.

(١) ينظر: "المواهب الربانية" (ص: ٥٢) للعلامة السعدي، بتصرف يسير.

الثالثة: عظمةُ القرآن ورفعةُ قدره وعلوُّ شأنه؛ حيث أخبر تعالى في هذه الآية بما أخبر، أنه الذي تولى إنزاله وحفظه، ولم يَكِل ذلك إلى أحد من خلقه.

الرابعة: أن القرآن مشتمل على كل ما يحتاج العباد إليه من أمور الدنيا وأمور الدين، ومن الأحوال الظاهرة والباطنة، فإن معنى الذكر أنه متضمن لتذكير العباد وتنبيههم لكل ما يحتاجون إليه، وتتعلق به منافعهم ومصالحهم، والأمر كذلك؛ فإنه مشتمل على أمور الدين والدنيا ومصالحهما، على أكملِ وجه وأشملِه، بحيث لو تذكرَ الخلقُ بتذكيره، ومشوا على إرشاده؛ لاستقامت لهم جميع الأمور، ولاندفعت عنهم الشرور؛ ولهذا أكثرَ اللهُ في القرآن من حث العباد على الاهتداء به في كل شيء، والتفكر والتدبر لمعانيه النافعة ويترتب على هذا المعنى:

الفائدة الخامسة: وهي أن من قام بالقرآن وتذكر به كان رفعة له، وشرفًا وفخرًا، وحسنَ ذِكر وثناء، وبهذا أول قوله تعالى: ﴿ وَإِنَّهُۥ لَذِكۡرٞ لَّكَ وَلِقَوۡمِكَ ﴾ الزخرف:٤٤ أي: شرفٌ ورفعةٌ لمن تذَكَّر به واستقام عليه.

السادسة: أن التذكر بغيره غيرُ مفيدٍ ولا مجدٍ على صاحبه نفعًا؛ لأنه إذا ثبت وتقرر أنه مادة التذكير لجميع المنافع؛ عُلم أن ما ناقضه وخالفه فهو بضد هذا الوصف؛ ولهذا أتى بالألف واللام المفيدة للاستغراق والعموم.

السابعة والثامنة: أن الله تكفل بحفظه حال إنزاله، فلا يمكن أن يقربه شيطان فيغيره ويزيد فيه وينقص، أو يختلط بغيره، بل نزل به القويُ الأمينُ جبريلُ على قلب الرسولِ محمد ﷺ القلبِ الزكي الذكي، الذي هو أكمل قلوب الخلق على الإطلاق، وضَمِن اللهُ لرسوله قرآنه وبيانه: ﴿فَإِذَا قَرَأْنَٰهُ فَٱتَّبِعْ قُرْءَانَهُۥ ﴿١٨﴾ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُۥ﴾ القيامة:١٨، ١٩ وتكفّل اللهُ أيضًا بحفظه بعدما نزل وتقرر، فأكمله الله تعالى، وأكمل به على عباده النعمة، واستحفظه لهذه الأمة على اختلاف طبقات علمائها وأئمتها، ووكلهم به، وائتمنهم عليه؛ فكل قرنٍ حمل عدولُه وأزكياؤه - الذين ضمن الله لهم العصمة عند اتفاقهم - ألفاظَه ومعانيه غضةً طرية، لا تغيير فيها ولا تبديل، وكل من أراد إدخال شيء فيه أو إخراج شيء منه؛ قيّض الله من يذب عنه ويحفظه، وهذا من حفظه، ويؤيد هذا:

الفائدة التاسعة: أن هذا من أدلة صدقه وصدق ما اشتمل عليه، وصدق مَنْ جاء به - وهو محمد ﷺ - فإنه تعالى خبّر بأنه أنزله، وأنه حافظ له؛ فوقع كما أخبر الله تعالى، فصار هذا آية وبرهانًا على صدقه، وصحة ما جاء به، كما يشهد بذلك الواقع.

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.





تلطف ولا تدهن[1]

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، أما بعد:

فإن التلطف بالقول والفعل أمرٌ مشروع إذا لم يكن على حساب الحق، وقد اتخذه الفتية أصحاب الكهف منهجًا في عزلتهم التي أثبتها الله في سورة (الكهف) في مقام الثناء عليهم وعلى صنيعهم؛ ولكن بعض الناس -ومنهم دعاة وطلاب العلم- قد يخرجهم التلطف من حيز المدارة المشروعة إلى حيز المداهنة المحرمة، فبدل أن يكون ناصحا أمينًا، يسعى لمدارة الناس ليكسب ودهم على حساب دين الله، وفرق بين الملاطفة والمدارة وبين المداهنة.

قال ابن القيم: «المداراة صفة مدح والمداهنة صفة ذم، والفرق بينهما أن المداري يتلطف بصاحبه حتى يستخرج منه الحق أو يرده عن الباطل، والمداهن يتلطف به ليقره على باطله، ويتركه على هواه، فالمداراة لأهل الإيمان، والمداهنة لأهل النفاق.

(١) أ.د. ناصر بن سليمان العمر، رئيس الهيئة العالمية لتدبر القرآن الكريم، أمين عام رابطة علماء المسلمين، المشرف العام على مؤسسة ديوان المسلم.

وقد ضُرب لذلك مثل مطابق: وهو حال رجل به قرحة قد آلمته، فجاءه الطبيب المداوي الرفيق، فتعرف على حال قرحته، ثم أخذ في تليينها، حتى إذا نضجت، أخذ في بطّها برفق وسهولة، حتى أخرج ما فيها، ثم وضع على مكانها من الدواء ما يمنع فساده، ويقطع مادة المرض، ثم تابع عليها بالمراهم التي تنبت اللحم، ثم يذر عليها بعد نبات اللحم ما ينشف رطوبتها، ثم يشد عليها الرباط، ولم يزل يتابع ذلك حتى صلحت وشفي من قرحته.

والمداهن قال لصاحبها: لا بأس عليك منها، وهذه يسيرة لا شيء فيها، فاسترها عن العيوب بخرقة، ثم اله عنها، فلا تزال مدتها تقوى وتستحكم حتى عظم فسادها»[1].

وقد أصاب ابن القيم رحمه الله كبد الحقيقة، وأنت واجد عند بعض المداهنين العزوف عن دعوة الحق مداهنة وذلك باسم التلطف، فكم من المهمات يُتغافل عنها رغبة في عدم تعكير الأجواء، وقد دأب أرباب الضلال إلى السعي للظفر بمداهنة أهل الحق، ولم ينقطع طمعهم في ذلك حتى من النبي ﷺ قال الله تعالى: ﴿وَدُّواْ لَوۡ تُدۡهِنُ فَيُدۡهِنُونَ﴾ القلم:٩، وقال سبحانه: ﴿وَإِذَا تُتۡلَىٰ عَلَيۡهِمۡ ءَايَاتُنَا بَيِّنَٰتٖ قَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَرۡجُونَ لِقَآءَنَا ٱئۡتِ بِقُرۡءَانٍ غَيۡرِ هَٰذَآ أَوۡ بَدِّلۡهُ﴾ يونس: ١٥، والله سبحانه يوجه خطابه الحاسم لنبيه ﷺ فيقول: ﴿وَقُلِ ٱلۡحَقُّ مِن رَّبِّكُمۡۖ فَمَن شَآءَ فَلۡيُؤۡمِن وَمَن شَآءَ فَلۡيَكۡفُرۡ﴾ الكهف: ٢٩.

---

(١) الروح، ١/ ٢٣١.

فعلى الداعية ألا يتنازل عن الدين، ثم يخادع نفسه بأنه يسلك مسلك التلطف والحكمة، بل تلك هي المداهنة المذمومة والركون المذموم للباطل.

إن على الداعية أن يحمل الدين وينشره في قالب لطيف حسن، ولا يصح الخلط بين اللطف في الدعوة وبين التنازل عن ثوابت الدين أو التنازل عن دعوة الناس تلطيفًا لأجواء الحياة.

ولابد أن نعي في مثل هذا المقام أنه كما يوجد من يداهن السلطان فهناك من يداهن الجمهور، ويسعى لإرضائهم ولا يتكلم إلا بما يرغبون، حفاظًا على التفافهم حوله، وسعيا في زيادة حبهم له، وهذا شأنه كشأن الأول فالمداهنة محرمة أيًا كان المداهَن، وليس التلطف حينها من التلطف الممدوح، وقد قال النبي ﷺ: «من التمس رضا الله بسخط الناس كفاه الله مؤنة الناس، ومن التمس رضا الناس بسخط الله، وكله الله إلى الناس»[1].

وهناك بعض العاملين في حقل الدعوة، قد دخل عليهم الشيطان وبلغ منهم مبلغًا أعظم، وذلك من باب التلطف بالناس وتحسين صورة الإسلام في نظر غير المسلمين، فبدؤوا يؤولون أخباره ويبدلون أحكامه تلطفًا بالآخرين، وتحبيبًا لهم في الدين -زعموا- وهذا الذي ضل به السابقون.

---

(١) الترمذي، ٤/ ٦٠٩، (٢٤١٤)، وصححه الألباني.

وأما الذين يداهنون من أجل المكاسب الدنيوية فما أكثرهم في سائر الأزمان فكيف الشأن الآن؟!

والمقصود، لاطف الناس ودارهم، ولكن لإيصالهم إلى ما يحبه الله ويرضاه، وإلاّ فلا تدهن فتغش! وأرض الله ولو سخط الناس، يكتب لك اللهُ رضاه، واحذر سخطه فيحل عليك غضبه، ومن يحلل عليه غضب الله فقد هوى.

اللهم أعذنا من ذلك، ومن اتباع الهوى المردي، وصلى الله وسلم على من تلطف وصدع بالحق لا بالهوى، وآله وصحبه أجمعين، ومن تأسى به واقتفى سنته إلى يوم الدين.

وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.





المجلس الخامس عشر

من صور التضرع النبوي: (دعاء زكريا بالولد)[1]

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، أما بعد:

فإن سورة مريم هي سورة رحمة الله بعباده وأنبيائه، فقد تكررت فيها مفردة (الرحمة) عشرين مرة، ولذا افتتحت السورة بقصة زكريا وابنه يحيى، وكان تقديمها لبيان ما يتجلى فيها من مشاهد عظيمة للرحمة بأولياء الله وأنبيائه.

فكان مطلعها: ﴿ذِكْرُ رَحْمَتِ رَبِّكَ عَبْدَهُۥ زَكَرِيَّآ﴾ مريم: ٢ فأضيفت الرحمة للرب؛ لأنه المنعم المتصرف: ﴿يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِۦ مَن يَشَآءُ﴾ آل عمران: ٧٤، وفي قوله: ﴿عَبْدَهُۥ﴾ إشارة إلى أنها رحمة خاصة بعباده تقتضي الإجابة والإسعاد في الدارين.

وتفيد أن التعبد لله من أعظم أسباب الرحمة والإجابة،كما أن في ذكر رحمته بأوليائه عونا على محبته وذكره ومعرفته.

---

(١) د.عبدالله بن منصور الغفيلي، عضو هيئة التدريس بجامعة الإمام، وعضو الهيئة العالمية لتدبر القرآن.

ثم يبين السياق القرآني صورة التضرع النبوي لزكريا في قوله: ﴿إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥ نِدَآءً خَفِيًّا﴾ فالنداء استكانة في الدعاء لاسيما إذا كان الدعاء خفيا، كما قال تعالى: ﴿ٱدْعُوا۟ رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ﴾ الأعراف:٥٥ وهكذا فعل زكريا،وذلك أعظم إيمانا وإخلاصا وتضرعا،ويستمر السياق مجليا تضرع نبي الله وانكساره بين يدي مولاه: ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّى وَهَنَ ٱلْعَظْمُ مِنِّى وَٱشْتَعَلَ ٱلرَّأْسُ شَيْبًا وَلَمْ أَكُنۢ بِدُعَآئِكَ رَبِّ شَقِيًّا﴾ فجمع بين ضعفه وافتقاره وبين حسن ظنه ويقينه بربه، ثم يكشف عن باعث عظيم لدعائه بالولد وهو قوله: ﴿وَإِنِّى خِفْتُ ٱلْمَوَٰلِىَ مِن وَرَآءِى﴾ فقد خاف أن يتولى من بعده من لا يدعو الناس إلى عبادة الله، فقد كان الدين مسيطرًا على همه، فلم يسأل الولد ليشبع رغبة الأبوة، أو يستعين به على نوائب الدهر، وإلا لم يكن بعد تقدم عمره واشتعال الشيب في رأسه، وهذا يؤكد صدق ضراعته وصلاح مقصده.

ثم بعد هذه المقدمة المتضمنة كمال الادب والافتقار، والإخلاص، وحسن الظن، والثناء، يأتي الطلب الذي يدل على علوّ همته، وشريف قصده، وحسن اختياره: ﴿فَهَبْ لِى مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا﴾، فهو تعلق بالكرم الإلهي، وتأكيد على الاختصاص بالموهوب

من الواهب؛ لتكون هِبةً إلهية معجزة، متميزة من مصدرها، مُؤكَّدَةً بتميز نوعها، ولذا طلب أن يكون الموهوب: ﴿وَلِيًّا﴾ ولاية الدين وميراث النبوة، ولذا قال: ﴿يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ ءَالِ يَعْقُوبَ﴾ فالأنبياء لا يورثون، وإنما يورث علمهم ودينهم وهو لم يخلف مالًا، كما أن آل يعقوب قد انقطعوا من زمن بعيد.

ثم يزيدُ زكريا طمعًا في فضل ربه، بأن يكون الموهوب صالحا فيقول: ﴿وَٱجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا﴾: أي مرضيا عندك وعند خلقك.

وهذا أفضل ما يكون من الأولاد، فاستجاب الله دعوته فقال: ﴿يَٰزَكَرِيَّآ إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَٰمٍ ٱسْمُهُۥ يَحْيَىٰ لَمْ نَجْعَل لَّهُۥ مِن قَبْلُ سَمِيًّا﴾، فما أجمل إجابة الله لضراعة عبده حينما يناديه في الملأ الأعلى باسمه، ويقول نبشرك بغلام، بل ويسميه بنفسه سبحانه!

إنها رحمة عظيمة تعجب منها زكريا فقال: ﴿أَنَّىٰ يَكُونُ لِى غُلَٰمٌ وَكَانَتِ ٱمْرَأَتِى عَاقِرًا وَقَدْ بَلَغْتُ مِنَ ٱلْكِبَرِ عِتِيًّا﴾ مع وجود المانع لديه وزوجته، فأجيب: ﴿قَالَ كَذَٰلِكَ قَالَ رَبُّكَ هُوَ عَلَىَّ هَيِّنٌ﴾ أي: يسير ﴿وَقَدْ خَلَقْتُكَ مِن قَبْلُ وَلَمْ تَكُ شَيْـًٔا﴾ مريم:٢-٩، فخَلْقُكَ من عدم أعظم، فسبحان الله القدير، المستحق للعبادة والضراعة.

فيا أيها المؤمن.. ما الذي يحول بينك وبين أن تنطرح بين يديه؟ وتقبل عليه؟ وتسأله من واسع رحمته، وسابغ فضله؟ فهو قريب من عباده ﴿وَٱدْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًاۚ إِنَّ رَحْمَتَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ الأعراف: ٥٦.

اللهم ارزقنا صدق الضراعة بين يديك، ولا تحرمنا لذة مناجاتك بذنوبنا.

وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.





المجلس السادس عشر

﴿مَآ أَنزَلۡنَا عَلَيۡكَ ٱلۡقُرۡءَانَ لِتَشۡقَىٰٓ﴾[1]

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، أما بعد:

فيشعر بعض الناس بثقل حين يتلو القرآن أو يستمع إليه، فتجده يسعى إلى ختم السورة بأسرع ما يمكن، وإذا كان مستمعًا؛ فلربما غيّر المحطة، وربما استرق النظر إلى ساعته مرارًا إذا كان في صلاة التراويح.

وإذا كان الإسراع في القراءة يحرم المرء من التلذذ بالقرآن، فإن النصوص جاءت في النهي عن ذلك، من ذلك مارواه أحمد عن نهيك بن سنان، أنه أتى عبد الله بن مسعود رضي الله عنه، فقال: قرأت المفصّل الليلة في ركعة، فقال: هذًّا مثل هذِّ الشعر، أو نثرا مثل نثر الدقل؟ إنما فُصّل لتفصلوا»[2].

(١) د.محمد بن مصطفى السيد، عضو الهيئة العالمية لتدبر القرآن.
(٢) المسند ٧/ ٦٩ ح (٣٩٥٨).

لكن تعالوا لنتأمل معًا موقع القرآن الكريم منّا، وموقعنا من القرآن الكريم، فالله ـ يخاطب نبيّه ﷺ وكلَّ قارئ للقرآن الكريم قائلًا: ﴿ مَآ أَنزَلۡنَا عَلَيۡكَ ٱلۡقُرۡءَانَ لِتَشۡقَىٰٓ ﴾ طه:٢، «فليس المقصود بالوحي وإنزال القرآن عليك وشرع الشريعة لتشقى بذلك، ويكون في الشريعة تكليف يشق على المكلفين، وتعجز عنه قوى العاملين، وإنما الوحي والقرآن والشرع شرعة الرحيم الرحمن، وجعله موصلًا للسعاة والفلاح والفوز، وسهّله غاية التسهيل، ويسّر كل طرقه وأبوابه، وجعله غذاءً للقلوب والأرواح، وراحة للأبدان»(١).

جاءت الآية مطلع سورة «طه»، لكن خاتمتها جاءت لتؤكد نتيجة الإعراض عن القرآن الكريم: ﴿ وَمَنۡ أَعۡرَضَ عَن ذِكۡرِي فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةٗ ضَنكٗا وَنَحۡشُرُهُۥ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ أَعۡمَىٰ ﴾ طه:١٢٤، ففي الأولى سعادة الإنسان بالقرآن، وفي الثانية شقاوته بالإعراض عنه، بأن تصبح معيشته ضنكًا، أي: ضيقة، وهذا يعني أن تكون المعيشة عذابًا على صاحبها، فيمتلئ قلبه بالهموم والأحزان من حيث رام أن يسعد نفسه وقلبه.

(١) تفسير السعدي (٥٠١).

تصنف بعض دول العالم بأنها الأفضل في دخل الفرد والتنمية البشرية، لكنها الأعلى في الانتحار، ألا يدعونا ذلك للتساؤل عن سرّ الانتحار هذا على الرغم من وجود الحياة المرفهة، مع حرية مطلقة في معاقرة الشهوات؟!

لقد خسر هؤلاء الروح وغذائها، فلم يجدوا بغيتهم في كون ملذات الدنيا كلها بين أيديهم، بل عاد عليهم ذلك باليأس والبؤس والإحباط والشقاء فانتحروا.

ألسنا نقرأ قول الله تعالى: ﴿فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهْدِيَهُۥ يَشْرَحْ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ ۖ وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُۥ يَجْعَلْ صَدْرَهُۥ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِى ٱلسَّمَآءِ ۚ كَذَٰلِكَ يَجْعَلُ ٱللَّهُ ٱلرِّجْسَ عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ الأنعام: ١٢٥، ألم نسمع قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱسْتَجِيبُوا۟ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ﴾ الأنفال: ٢٤.

إن حياة القلب لا تكون إلا بعبودية الله، ولنتأمل التعبير بقوله: ﴿إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ﴾، فحياتنا الهانئة السعيدة، لا تكون إلا بطاعتنا لله تعالى واستجابتنا لرسوله ﷺ.

وإذا ربطنا الآيات بقوله: ﴿ وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴾ الإسراء: ٨٢، سنجد أنها خصت المؤمنين دون غيرهم بالإفادة من شفاء القرآن ورحمته، نتيجة لتصديقهم بآياته وعملهم بها، والشفاء عام من أمراض القلوب المعنوية من الضلال والفساد والجهل، وشفاء للأبدان من أمراضها الحسية.

اللهم اجعل القرآن العظيم ربيع قلوبنا، ونور صدورنا.

وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.





المجلس السابع عشر

أكلُ الحلال في ضوء قوله تعالى

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرُّسُلُ كُلُواْ مِنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَٱعۡمَلُواْ صَٰلِحًا إِنِّي بِمَا تَعۡمَلُونَ عَلِيمٞ﴾[1]

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، أما بعد:

ففي عصر تنوعت فيه مصادر الأموال، وكثر الدخن فيها، فحريّ بالعبد أن يجتهد في طيب مصدر رزقه، الذي له أثر على بدنه، وقلبه، وإجابة دعوته. والمؤمن حين يجتهد في هذا، فإنما يتأسى بصفوة الخلق الذين قيل لهم: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرُّسُلُ كُلُواْ مِنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَٱعۡمَلُواْ صَٰلِحًاۖ إِنِّي بِمَا تَعۡمَلُونَ عَلِيمٞ﴾ المؤمنون:٥١.

و«الطيب» في النصوص الشرعية يأتي كثيرًا بمعنى الحلال، وضده الخبيث بمعنى الحرام، ومنه: ﴿كُلُواْ مِنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ﴾ أي المُحَلّلات.

(١) للعلامة عبدالحميد بن باديس، ينظر: تفسير ابن باديس (ص:٣٥٣).(بتصرف)

وقد يأتي «الطيب» بمعنى الجيد، والخبيثُ بمعنى الرديء، كما في قوله تعالى: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَنفِقُوا۟ مِن طَيِّبَـٰتِ مَا كَسَبْتُمْ وَمِمَّآ أَخْرَجْنَا لَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ ۖ وَلَا تَيَمَّمُوا۟ ٱلْخَبِيثَ مِنْهُ تُنفِقُونَ ﴾ البقرة: ٢٦٧.

و«الصالح» في قوله: ﴿وَٱعْمَلُوا۟ صَـٰلِحًا﴾ يكون بفعل المأمورات وترك المنهيات، وتناول المباحات.

ونلحظ في هذه الآية الكريمة اهتمامًا بلقمة الحلال حين خوطب بذلك الرسل عليهم الصلاة والسلام؛ ليطبقوا هذا، وليبلغوه للناس.

ولما كان المقصود من الأكلِ -وهو الغذاءُ واللذةُ-، يحصل ببعض قال سبحانه: ﴿مِنَ ٱلطَّيِّبَـٰتِ﴾ فقال ﴿مِنَ﴾ التي تدل على التبعيض.

ولما كان المخاطب بأكل الحلال والعمل الصالح شأنه أن تستشرف نفسه لتعيين ثمرة ذلك، جاء الخبر مؤكدًا بـ« إنّ» في ﴿إِنِّى بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ﴾.وحين يخبر الله عن علمه، فإنما يقصد به العلم المستلزم للجزاء، فكان كنايةً عن الجزاء، وفي هذا تفخيم لهذا الجزاء وتعظيم له، فهو جزاء الله العليم وكفى به.

واللهُ تعالى حين أمر بالأكل، فمن أجل بقاء البدن، واشترط أن يكون من الطيبات، لأنها هي التي تغذي ولا تؤذي، أما الخبائث ففيها الأذى ويتفه أو يعدم منها الغذاء.

وأمر بالعمل الصالح الذي فيه ذكاء للنفس وتزكية لها، ونفع لها في العاجل والآجل وخير للعباد والبلاد.

وأخبر بعلمه بعمل العاملين؛ ليجتهدوا في العمل ويخلصوا له فيه، وينتظروا جزاءهم من عنده.

والدين كله عمل صالح وتوحيد خالص، وقد انتظمتهما الآية تصريحًا في العمل واستلزامًا في التوحيد، وبيّن تعالى بهذه الآية أن هذا الذي اشتملت عليه هو دين الله لجميع الأمم، أوصى به رسله- صلوات الله وسلامه عليهم- ليبلغوه لخلقه، فهو حقيق أن يؤخذ به ويعمل عليه.

وههنا نكتة بلاغية في ترتيب هذه المذكورات في الآية:

فإن الأعمال تتوقف على سلامة الأبدان، فكانت المحافظة على الأبدان من الواجبات، ولهذا قدم الأمر بالأكل على الأمر بالعمل.

فليس من الإسلام تحريم الطيبات التي أحلها الله، ولا تضعيف الأبدان كما يفعله بعض الجهال، الذين يظنون هذا دينًا. والميزان العدل في ذلك هو ما كان عليه النبي ﷺ وأصحابه -رضوان الله عليهم-.

وفي تقديم الأكل من الطيبات على العمل الصالح تنبيه على أنه هو الذي يثمرها؛ لأن الغذاء الطيب يصلح عليه القلب والبدن، فتصلح الأعمال، كما أن الغذاء الخبيث يفسد به القلب والبدن، فتفسد الأعمال.

فعلى المؤمن أن يتحرى في مأكله ومشربه- وكل ما به قوام ذاته- الحلالَ الطيبَ، يمتثل بذلك أمر الله، ويقصد التوصل به إلى العمل الصالح. وعليه أن يتحرى في فعله وتركه أمر الله ونهيه، حتى يكون عمله عملًا صالحًا طيبًا متقبلًا، يمتثل بذلك أمر الله، ويقصد قبول عبادته ودعائه لديه.

والمتحري للحق والخير جدير بالتوفيق إليه وكثرة إصابته.

رزقنا الله التحري لطاعته، والتوفيق لمرضاته، والتأدب بكتابه آمين.

وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.





تلقي الشائعات في ضوء قصة الإفك(١)

الحمدُ لله رَبِّ العالمينِ، والصلاةُ والسلامُ على المبعُوثِ رحمةً للعالمينِ، نبيّنا محمدٍ وعلى آلهِ وصحبه أجمعين، أمَّا بَعد:

فيقول الله تعالى عن شائعة الإفك: ﴿إِذۡ تَلَقَّوۡنَهُۥ بِأَلۡسِنَتِكُمۡ وَتَقُولُونَ بِأَفۡوَاهِكُم مَّا لَيۡسَ لَكُم بِهِۦ عِلۡمٞ وَتَحۡسَبُونَهُۥ هَيِّنٗا وَهُوَ عِندَ ٱللَّهِ عَظِيمٞ﴾(النور: ١٥).

في هذه الآية العظيمة تصويرٌ عجيب لدقائق شأن الشائعات، وكيفية تلقّي الناس لها، وإذاعتهم لها بعد ذلك، ولعل هذا الأمر يتضّح من خلال هذا التحليل لمضمون هذه الآية الكريمة:

أولًا: مجيء كلمة ﴿إِذۡ﴾ في مطلع هذه الآية؛ يشعر بلحظة تلقّي الخبر، وأنها لحظةٌ حاسمة، يختلف الناس في التعامل مع الخبر بحسب هذه اللحظة، ولذلك جاء ذكرُ توقيت تلقّي الإنسانِ للخبر في بداية هذه الآية.

ثانيًا: التعبير عن سماع الخبر بالتلقي، فقال سبحانه وتعالى: ﴿تَلَقَّوۡنَهُۥ﴾؛ بدلًا من تسمعونه، مع أنَّ جُلَّ الشائعات يكون تلقيها عن طريق السمع، وأداة ذلك هي الأُذن كما لا يخفى، ولكن في ذكر التلقّي هنا دلالة لطيفة؛ إذ فيه إيماءٌ إلى شوق

(١) للدكتور عويض بن حمود العطوي، وكيل الدراسات العليا في جامعة تبوك.

المتلقي لما يتلقّى، فكأنَّ هناك أناسًا متعطشين لمثل هذه الشائعات، يبحثون عنها، ويتلقفونها، فإذا حصل لهم ما يريدون تلقوها تلقي الأهل لغائبهم، ففي التعبير بالتلقي دلالة على استعداد المتلقي وترحيبه بها سيأتي، وهذا يُنْبِئ عن مرضٍ في بعض القلوب، وخصوصًا ما كانت من الفئة الحاقدة على الدين وأهله، ولعلنا نلحظ هذا التلقي أحيانًا في تلقف أخبار الأخيار، وتصيُّد أخطائهم، ونشرها وتكبيرها؛ على ما يرى الناس ويسمعون.

ثالثًا: صيغة ﴿تَلَقَّوْنَهُۥ﴾ مصوّرةٌ للجهد المبذول من متلقّي الخبر، فهو (تَفعّل) مثل التصبُّر، فهو عن قصدٍ من جهة، وهو يُجْهِدُ من جهةٍ أخرى، وهذا من أعجب ما يكون في الإنسان؛ حيث إنَّه يصرفُ همته، ويشغلُ نفسه، ويبذلُ جهده في ملاحقة شؤون الناس، وتلقف أخبارهم، وقد يكون في هذه الصيغة دلالة على تَنقُّل الأخبار بين الناس، بل بين هذه الفئة خصوصًا.

رابعًا: جاءت كلمة ﴿تَلَقَّوْنَهُۥ﴾ محذوفة (التاء)، والأصل (تتلقونه)، وفي هذا تصويرٌ لسرعة التلقيّ؛ بسبب تلهّف السامع لسماع الخبر والشائعة، وإذاعته لها.

خامسًا: قوله تعالى: ﴿بِأَلْسِنَتِكُمْ﴾، نلحظ فيه كيف كان تلقي الخبر باللسان، مع أنَّ اللسان ليس هو الأداة لتلقي الأخبار، بل الأداة المعنيّة بذلك هي الأذن، ومع هذا لم يكن النظم الجليل: إذ تلقونه بآذانكم، بل بألسنتكم، لما في ذلك من تصوير اختلال موازين التلقي عند هذه الفئة الراغبة في الشر، ونشر الشائعات المغرضة بين الناس، فكان في ذكر التلقي باللسان بيانٌ أن هذا الخبر الذي تتلهفون

له، وتتلقونه تلقي الغائب؛ لم يمر من قنواته التي تضمن سلامته، أو سلامة التعامل معه؛ وهي: الأذن، ثم العقل، ثم بعد ذلك اللسان، بل إن الذي حصل هو تلقي من اللسان إلى اللسان، فما أدق هذا التصوير لحال كثير من محبّي نشر السوء.

سادسًا: مجيء هذه الكلمة مجموعة ﴿بِأَلْسِنَتِكُمْ﴾، وكذلك قوله تعالى: ﴿بِأَفْوَاهِكُم﴾، فيه ملمحٌ لكثرة الفاعلين لهذا الأمر، ولانتشار ذلك بين الناس، وإلا لقيل: إذ تلقونه باللسان، وتقولون بالفم، ويؤيد هذا إضافة ذلك إلى مخاطبين، ليكون ذلك أكثرَ حضورًا وواقعية.

سابعًا: في وقوع قوله تعالى: ﴿وَتَقُولُونَ﴾ مباشرة بعد قوله تعالى: ﴿إِذْ تَلَقَّوْنَهُۥ﴾ دليلٌ على سرعة السعي في نشر الخبر، وعدم عرضه على محك الدين والعقل، وفي التعبير بالمضارع ﴿وَتَقُولُونَ﴾ دليلٌ على تجدد ذلك منهم في غير مرّة.

ثامنًا: في مجيء مادة القول ﴿وَتَقُولُونَ﴾، دون تنشرون، أو تذيعون مثلًا؛ للدلالة على تفوههم بهذا الخبر المنقول، وإجرائهم ذلك الخبر السيئ على ألسنتهم، وهذه خطيئة أخرى زيادة على خطيئة التلقي التي ذكرت سابقًا.

تاسعًا: قوله تعالى: ﴿بِأَفْوَاهِكُم﴾ تأكيدٌ لحصول القولِ منهم، وذلك لأنَّ ذِكرَ القول يغني عن ذكر هذا القيد ﴿بِأَفْوَاهِكُم﴾؛ لأنَّه من البَدَهي أنَّ القول سيكون بالفم، وفي النص على ذلك زيادة على التأكيد المذكور لطيفة أخرى؛ وهي أنَّ المذكورَ -هنا- هو الفم، لا اللسان، فعلمنا من ذلك أن التلقي كان باللسان؛ والإخراج كان بالفم، وهذا يعني أنَّ وسيلة التلقي لم تكن هي الوسيلة المناسبة؛ ولا الصحيحة، وكذلك طريقة الإخراج، لم تكن هي الطريقة الصحيحة؛ ولا السليمة.

وقد دلّ ذكر الفم في الإخراج على أنَّ حجم الشائعة قد تضخم في نفس هذا المتلقي، حتى ما قدر اللسان الذي تلقاها على إخراجها؛ لأنه زاد فيها من مروياته، أو تحليلاته، أو كذبه، أو زوره، حتى أصبح اللسان عاجزًا عن حملها، فكان لابد أن يتآزر الفم بجميع مكوناته؛ بما فيها اللسان لحمل هذا العبء الثقيل ليخرجه مرة أخرى.

ولك أن تتأمل -أيها المؤمن بربه- حجم هذه الشائعة التي هذا وصفها، وكم سيكون تأثيرها في الناس، وهذا الأمر من التلقّي إلى الإخراج بهذا التصوير العجيب هو تجسيد دقيق لواقع محبي الشر، ومتلقّي السوء، وناقليه، فاحذر أن تكون منهم.

وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.





المجلس التاسع عشر

الحوار في القرآن الكريم[1]

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، أما بعد:

فإن من محاسن الدين الإسلامي أنه يقوم على الحق والعدل، ويحرر القضايا، وينصفُ الخصوم، ويقيم الحجة، وقد أرسل الله لعباده رُسُلًا مبشرين ومنذرين، ودعاةً إليه بالحكمةِ والموعظةِ الحسنةِ، والمجادلة بالأحسن، ولم يطلب إكراه أحدٍ على الإيمان به: ﴿لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشۡدُ مِنَ ٱلۡغَيِّۚ﴾ البقرة:٢٥٦، وطلب من كل مُحاورٍ حجته: ﴿قُلۡ هَاتُواْ بُرۡهَٰنَكُمۡ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ﴾ النمل:٦٤.

ومن أهم ما يميز المسلم دعوته إلى الله بقوله وفعله، وسمته، فحياته كلها دعوة، قال تعالى: ﴿قُلۡ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحۡيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ الأنعام:١٦٢، لذا كان على المسلم معرفة منهج الحوار وطرقه

(١) د.أسماء بنت راشد الرويشد، المشرفة العامة على مركز آسية، وعضو الهيئة العالمية لتدبر القرآن.

وآدابهِ الشرعية؛ لقوله: ﴿ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ﴾ النحل:١٢٥، وقوله: ﴿ قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ ﴾ يوسف:١٠٨.

وقد أولى الله تعالى الحوار اهتمامًا في كتابه العزيز، فذكر حوار الأنبياء -عليهم السلام- مع أقوامهم، وبيّن لنبيه ﷺ كيف يحاور أثناء تبليغه دعوة ربه، كما حفلت السُنَّة بنماذج من حواره ﷺ مع الآخرين على تنوعهم.

وقد ورد في القرآن ذكر المحاورة، وهي المفاعلة من الحوار، قال تعالى: ﴿ وَكَانَ لَهُۥ ثَمَرٌ فَقَالَ لِصَٰحِبِهِۦ وَهُوَ يُحَاوِرُهُۥٓ أَنَا۠ أَكْثَرُ مِنكَ مَالًا وَأَعَزُّ نَفَرًا ﴾ الكهف:٣٤، ﴿وَهُوَ يُحَاوِرُهُۥٓ﴾: أي يخاطبه ويجاوبه.

وقال الله عز وجل: ﴿قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّتِى تُجَٰدِلُكَ فِى زَوْجِهَا وَتَشْتَكِىٓ إِلَى ٱللَّهِ وَٱللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَآ﴾ المجادلة:١، قوله ﴿تَحَاوُرَكُمَآ﴾ أي: مراجعتكما الكلام.

وفي القرآن آياتٌ تحكي طُرُق الأنبياء والمرسلين -عليهم السلام- في دعوة أقوامهم بالمحاورة، قال تعالى: ﴿كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَٱلْأَحْزَابُ مِنۢ بَعْدِهِمْ ۖ وَهَمَّتْ كُلُّ أُمَّةٍۭ بِرَسُولِهِمْ لِيَأْخُذُوهُ ۖ وَجَٰدَلُوا۟ بِٱلْبَٰطِلِ لِيُدْحِضُوا۟ بِهِ ٱلْحَقَّ فَأَخَذْتُهُمْ ۖ فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ﴾ غافر:٥، ثم يبين الله كيف رد عليهم

الرسل -عليهم السلام- وحاوروهم وجادلوهم بالحسنى، وذكر الله حوارَ نوحٍ وهودٍ وصالحٍ وإبراهيمَ ولوطٍ وشعيبٍ وموسى وسليمان وعيسى -عليهم السلام- ورسلٍ آخرين مع أقوامهم، وذكر تعالى حوار أتباع الرسل من المؤمنين مع من لم يؤمن من قومهم، وذكر حوار الملائكة معه سبحانه، وكلامه مع بعض رسله -عليهم السلام-، وذكر حوار الأنبياء مع الملائكة -عليهم السلام-، وحوار الملائكة مع مريم -عليها السلام-، وذكر حوار عيسى عليه السلام معه، وحوار الملائكة -عليهم السلام- مع الكفار يوم القيامة، وحوار المؤمنين مع الكافرين، وحوار الكافرين فيما بينهم في النار، وحوار الأعراف مع أهل الجنة وأهل النار.

ومن الحوارات الدعوية التي وردت في القرآن الكريم حوار يوسف عليه السلام مع السجينين عندما سألاه عن تعبير رؤياهما، فابتدأهما بالدعوة إلى الله، ثم عبر لهما رؤياهما.

كما تكرر في القرآن نقل حوارات دارت بين موسى عليه السلام وبين فرعون، ومنها حوار موسى عليه السلام وهو يعرض حججه الدامغة عندما سأله فرعون: ﴿وَمَا رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾، فبين له عليه السلام بقوله: ﴿رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِن كُنتُم مُّوقِنِينَ﴾ فعارضه فرعون و﴿قَالَ لِمَنْ حَوْلَهُۥٓ أَلَا تَسْتَمِعُونَ﴾، فلم يعبأ به موسى عليه السلام، واستمر ﴿قَالَ رَبُّكُمْ وَرَبُّ ءَابَآئِكُمُ ٱلْأَوَّلِينَ﴾، وهنا

بلغت المعارضة غايتها من فرعون حينما قال: ﴿إِنَّ رَسُولَكُمُ ٱلَّذِيٓ أُرۡسِلَ إِلَيۡكُمۡ لَمَجۡنُونٞ﴾، فتجاهله عليه السلام ولم يشغله الرد عن مقصوده في الحوار، واستمر بقوله: ﴿رَبُّ ٱلۡمَشۡرِقِ وَٱلۡمَغۡرِبِ وَمَا بَيۡنَهُمَآۖ إِن كُنتُمۡ تَعۡقِلُونَ﴾، وعرض عليه حينها المعجزات الدالة على صدقه ﴿فَأَلۡقَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعۡبَانٞ مُّبِينٞ ٣٢ وَنَزَعَ يَدَهُۥ فَإِذَا هِيَ بَيۡضَآءُ لِلنَّٰظِرِينَ﴾ الشعراء:٢٣ - ٣٣.

كما أن أسلوب الحوار من أنفع الأساليب التعليمية وفي القرآن نماذج من استعماله في هذا المجال، كما في قصة موسى مع الخضر عليه السلام وفيها: ﴿قَالَ لَهُۥ مُوسَىٰ هَلۡ أَتَّبِعُكَ عَلَىٰٓ أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمۡتَ رُشۡدٗا ٦٦ قَالَ إِنَّكَ لَن تَسۡتَطِيعَ مَعِيَ صَبۡرٗا ٦٧ وَكَيۡفَ تَصۡبِرُ عَلَىٰ مَا لَمۡ تُحِطۡ بِهِۦ خُبۡرٗا ٦٨ قَالَ سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ صَابِرٗا وَلَآ أَعۡصِي لَكَ أَمۡرٗا﴾ الكهف:٦٦ - ٦٩.

وهناك حوارات دعوية كثيرة جدًا منقولة في كتاب الله تعالى، فليجتهد المسلم في تأملها وتدبرها؛ ليستمد منها منهجًا دعويًا متينًا مؤثرًا بإذن الله، نسأل الله تعالى أن يهدينا سبل الرشاد وأن يسددنا في الأقوال والأفعال.

وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.





المجلس العشرون

﴿وَقَالَتْ لِأُخْتِهِۦ قُصِّيهِ﴾[1]

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله أما بعد:

فيقول الله تعالى في سورة القصص، مخبرًا عن أم موسى التي فجعت بالتقاط آل فرعون لولدها: ﴿وَقَالَتْ لِأُخْتِهِۦ قُصِّيهِ ۖ فَبَصُرَتْ بِهِۦ عَن جُنُبٍ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ القصص: ١١! فلم خَصّت أمُ موسى أختَه بتتبع مسيرهِ في اليم حتى وصل إلى قصر فرعون!

لم الأخت هي المؤهلة لحمل الرسالة في ذلك الجو المرعب القاتل!

ما السر الذي ألهمه الله في قصة موسى حتى يبرز خبر الأخت؟ أليس له أقارب غيرها؟ أين جيرانهم؟ أين الصالحون من بني إسرائيل؟

قصتنا اليوم قصة الأخت التي أعلى الله شأنها في كتابه بذكرها في هذه اللحظات الرهيبة من حياة رسول من أعظم الرسل عليهم الصلاة والسلام.

﴿وَقَالَتْ لِأُخْتِهِۦ قُصِّيهِ﴾ فمضت أخت موسى في عالم من الخوف والقتل والجبروت، تسير خلف أخيها الرضيع، وفي قلبها بحار من الحب

---

(١) د.عبدالله بن بلقاسم.

والحنان والرحمة، لا يمكن لقلب على الأرض -بعد أمه- أن يقوم بهذا الدور الشجاع إلا قلب الأخت!

مضت أخت موسى تتبع التابوت حتى ألقاه الموج في داخل القصر.

كان بإمكانها أن تعود وقد أدت مهمتها، وأعذرت من أمها وأخيها، وبذلت جهدها، لكن هيهات للحب أن تنتهي قصته! وهيهات للأخوة أن تسدل ستارها!

مضت الفتاة ووجه أخيها موسى في عينها، وصوته يدوي في أذنيها، مضت تقتحم أهوال القصر، ودخلت إلى لجة الموت تنظر ما ذا حل بأخيها، ماذا جرى له؟ أي يد حملته؟ وماذا فعلوا به؟

ويبدو من الآيات أنها تخطت حواجز هائلة، حتى اقتربت من دوائر القرار الحاسم، وهي ضعيفة مسكينة، وتحسست أنباء حيرة القصر في البحث عن مرضعةٍ للصبي الذي امتنع عن الرضاع من كل المرضعات.

ورغم احتمالات انكشاف الأمر أمام مخابرات فرعون، تحركت الأخت المحبة من جديد وصدعت باقتراحها المحفوف بالمخاطر: ﴿فَقَالَتْ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰٓ أَهْلِ بَيْتٍ يَكْفُلُونَهُۥ لَكُمْ وَهُمْ لَهُۥ نَٰصِحُونَ ﴿١٢﴾ فَرَدَدْنَٰهُ إِلَىٰٓ أُمِّهِۦ كَىْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ وَلِتَعْلَمَ أَنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ القصص: ١١ - ١٣.

قصة أخت موسى قصة حب مكررة في كل بيت مؤمن في بيوتنا قلوب تحمل هذا الحب لنا!

في بيوتنا أخواتنا الذي سطر القرآن ما يحملنه من الحب لنا!

لم يقل ربنا: (وقالت فلانة)؛ لأن القضية ليست قضية فلانة بل قال سبحانه: ﴿وَقَالَتْ لِأُخْتِهِۦ﴾؛ لأن المعنى في الأخوة الكامنة هنا الأخوة التي تبعث على الرحمة والعطاء والصلة والإحسان والقرب.

الأخت هذا الاسم الجميل الذي يحرك مشاعر المحبة في قلوب المؤمنين، وألطاف الأخوة في أفئدة الصالحين.

الأخت هذه الكلمة التي تذرف لها الدموع، وتتحرك لها القلوب.

الأخت هي النسخة المؤهلة لحمل رسالة الأم..

إنها شريكة الرحم والصلب والمهاد والثدي، والبدايات الأولى، والبراءات الصغيرة.

بعد كل هذا التاريخ من القربى -ومع شديد الأسف- تشاهد صورا تنكرت لكل الماضي، وقطعت أواصر القربى، فسقطت الأخت إلى قاع الاهتمامات، وأصبحت قريبة من الدرجة والرابعة الخامسة!

أصبحتْ تدخل بيتَ أخيها كأنها غريبة، تحضر حزينة، وتذهب باكية! انقرضت البسمة لها من وجوه إخوانها، ورحلت الرحمة عنها من قلوبهم!

لم يعد من الأخوة إلا مسميات جافة، وكلمات فاترة، وتكلفات ثقيلة.

أخوات في الستين والسبعين، قد انحت ظهورهن، وشحبت وجوههن، ورقت عظامهن، وساء أزواجهن، لا يجدون ذرة من الاحترام، ولا لفتة من التكريم، عند إخوانهم الذين ربما ربَّت بعضهم، وأطعمته في حجرتها، وسهرت ليلها معه في طفولته.

أين أخت موسى؟ وجيلُ جديدٌ من الشباب ينظر إلى أخواته كأنهن خادمات في بيته، يأمرهن وينهاهن، ويشتمهن، وربما بلغت به الوقاحة والظلم أن يضربهن، في بيوت جاهلة، لا تقدر قيمة الأخت ولا منزلتها، ولا ترفع رأسا بحقوقها.

وهناك رجال أدو حقوق أخواتهم، شابت رؤوسهم، يسافر أحدهم مئات الأميال ليسأل عن حال أخته، ويتفقد أمرها مع زوجها، كيف حالها؟ وكيف معاملته لها؟ يشعرها بأنه سندها بعد الله، وعونها بعد أبيها، يمدها بماله، ويعينها بكلماته، ويخفف أحزانها، ويؤنسها إذا حزنت، ويفرح بها إذ قدمت، ويكرم زوجها من أجل أن يكرمها، ويتواضع له من أجل أن يتواضع لها، يعطيها حقها قبل أن تسأله، يعلم أنها ضعيفة تحتاج إلى مال أبيها وأمها فيبادر إليها.

الشابُ الشهم هو الذي يعامل أخته الكبيرة كأنها أمه، فهو يرى فيها مشهد أمه الحبيبة فيكرمها ويزروها ويتذكر وجه أمها فيها، ويحسن إلى أمه وأبيه بالإحسان إليها، وينظر إلى أخته الصغيرة أنها ابنته فيرحمها ويحسن إليها ويتلطف بها، ويسعى في خدمتها، والله الموفق.

وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.





المجلس الحادي والعشرون

من أسرار قوله تعالى



﴿فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ ٱلسَّعۡىَ﴾(١)

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، أما بعد:

فدعونا نرتحل بقلوبنا وعقولنا إلى أعماق هذا الحوار العظيم، بين إبراهيم الخليل وابنه إسماعيل عليهما الصلاة والسلام: ﴿فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ ٱلسَّعۡىَ قَالَ يَٰبُنَيَّ إِنِّيٓ أَرَىٰ فِي ٱلۡمَنَامِ أَنِّيٓ أَذۡبَحُكَ فَٱنظُرۡ مَاذَا تَرَىٰۚ قَالَ يَٰٓأَبَتِ ٱفۡعَلۡ مَا تُؤۡمَرُۖ سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ الصافات:١٠٢.

أولًا: تأملوا الخطاب وكيف أن إبراهيم عليه السلام عرض الأمر الفادح بطريقة هادئة واضحة.

إن العظماء يبدون أكثر هدوءا في الأزمات الطاحنة، والفتن المدلهمة، والأحداث الكبرى.

والكبارُ وحدهم قادرون على السيطرة على مشاعرهم وأنفسهم في الأوقات العصيبة، إنهم يلتزمون أخلاقيات الحوار مهما كان الموضوع صعبا.

(١) د.عبدالله بن بلقاسم.

﴿يَٰبُنَيَّ﴾ القرآن العظيم يؤكد بنقل هذه الكلمة أن اللحظة الحرجة لا تمنح إذنا بالقفز عن الاتزان والهدوء والأخلاق.

ثانيًا: ﴿إِنِّيٓ أَرَىٰ فِي ٱلۡمَنَامِ أَنِّيٓ أَذۡبَحُكَ﴾ الوضوح والصدق والدقة.

إن وضع الأفراد والأمم أمام مشكلاتها الحقيقية يتطلب قدرا عاليا من المسؤولية في الصراحة والشفافية، ففي عبارة موجزة دقيقة وضع الخليل عليه السلام ابنه مباشرة في الموضوع، دون تضليل أو خداع.

إننا نعاني في مجتمعاتنا المسلمة من فقدان الوضوح والمباشرة في تعاملاتنا الفردية والجماعية.

إننا نمارس تضليلا فرديا وجماعيا، ونستخدم اللغة -التي هي وسيلة البيان والوضوح- للتعمية والتشويش وتشويه الحقيقة، وبمرور الزمن وترسخ العادة، أصبح من الصعب أن تواجه الناس بالحقيقة دون أن تخسرهم، وتجذرت فينا ثقافة الخداع، والقدرة على التمويه.

لا يمكن لبيت ولا لأمة أن تنهض نهضة حقيقة دون أن تصطدم بكل صدق مع أزماتها، وأن تعترف بكل شجاعة بحجم الآلام التي تعانيها، والأخطار التي تحدق بها، وأن تتخلى على الفور عن المجاملة الخادعة التي تخدر إحساسها بمشكلاتها.

ثالثًا: النبوة والأبوة أعلى مرتبتين بشريتين تستحق التوقير في الوعي الإنساني، لكنها مع ذلك لا تعنى القهر واستلاب الخيارات الفردية، لقد كان الأمر واضحًا للخليل، وكان بإمكانه أن يمارس حقه في تنفيذ الأمر دون

عرض على الغلام الذي بلغ معه السعي، لكن إبراهيم عليه السلام أدرك أنه أمام إنسان مستقل له حق في أن يختار قراره هو بمعزل عن خيار الأب.

إن إبراهيم لم يكن ليتخلى قط عن تنفيذ أمر الله ﷻ، لكنه أراد أن تكون مشاركة ابنه طوعية حتى يحظى بأجر التسليم والاتباع، فقبل إسماعيل بالعرض مختارًا، طائعًا محتسبًا، سائرًا إلى أمر الله بكل مشاعر الاحتساب والرغبة في التنفيذ. لقد تحول الابن من مجرد القبول وترك الممانعة أو الفرار إلى مرتبة أعلى.

إن الغلام يتولى حفز أبيه المحب التنفيذ: ﴿ٱفۡعَلۡ مَا تُؤۡمَرُۖ﴾ رسالة مهمة للخليل في الوقت الصعب، ومساندة غالية في لحظة الابتلاء المريرة.

إنها ثمرة الحوار الأمين، والعرض المسؤول الذي تقدم به لابنه، ينال ثمنها هذا الموقف المؤمن الشجاع الصارم.

رابعًا: التسليم، لقد كان بالإمكان أن يأتي جبريل في أوضح صور الوحي إلى إبراهيم؛ لينقل إليه الأمر بالذبح، لكن الابتلاء ـ ولأمرٍ ما ـ جاء في صورة منام، ورؤيا الأنبياء حق؛ لتعظم البلية به.

إنّ النفوسَ المراوغةَ تبحث عن أي منفذ للفرار من تنفيذ أمر الله، وتفرح بكل حيلة تسهل عليها ترك أوامره، لكن الخليل لم يفعل، لقد كان في أسمى حالات التسليم، ولم يكن لديه تفكير البتة في التراجع أو التغيير.

إننا اليوم أمام مشكلة ضخمة تتعلق باهتزاز ركن التسليم في قلوبنا، إن إبراهيم لم يتساءل عن أسباب هذه الأمر، ولم يراجع ربه في توضيح أسبابه، ولم يبحث عن مبررات هنا أو هناك، ليتنصل منه!

لقد بدا واضحًا أن التسليم معناه شيء واحد: هو القبول بأمر الله دون تردد أو شك.

ماذا يحدث اليوم في مجتمعاتنا من المناكفة والمصادمة المستمرة للوحي بمسوغات سخيفة؟ واعتراضات سامجة، وحِيَلٍ بلهاء!

لقد نصب بعض الناس نفسه حاكمًا على النصوص، يمرر منها ما يشاء، ويرد ما يشاء، بحسب ظنونه وأوهامه التافهة.

إن النص -بعد فهمه على منهج الأنبياء والصحابة- ليس لأحد خيار فيه إلا التسليم.

لقد فهم إسماعيل مبررات أبيه للقيام بهذا الأمر الجلل: ﴿إِنِّيٓ أَرَىٰ فِي ٱلۡمَنَامِ أَنِّيٓ أَذۡبَحُكَ﴾ سأذبحك يا بني لأن الله أمر بذلك، ليس هناك مذكرة تفصيلية، ولا فذلكة قضائية، ولم يطالب إسماعيل أباه بشيء آخر!

لقد انتهى كل شيء! فحين يأمر الله، يموت شيطان الاعتراض في قلب المؤمن، ويتخلى عن كل وساوس المشاغبة والتشكيك: ﴿ٱفۡعَلۡ مَا تُؤۡمَرُ﴾! كل قضية أخرى تقبل النقاش والمراجعة إلا ما تؤمر به من الله، أما أي شيء آخر، فلا بأس بالحوار والبحث والسؤال.

اللهم ارزقنا الانقياد لشرعك، والتسليم لأمرك ونهيك.

وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.





المجلس الثاني والعشرون

وقفات مع قوله تعالى

﴿ إِنَّا كُنَّا مِن قَبْلُ نَدْعُوهُ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْبَرُّ ٱلرَّحِيمُ ﴾[1]

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، أما بعد:

ففي سورة الطور تتجلى بعض مشاهد المتقين، بعد دخولهم جنّة النعيم، ومن أكثر ما يلفت النظر في هذه السورة، حديثهم عن أسباب دخولهم كما في قوله تعالى: ﴿ وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَآءَلُونَ ﴿٢٥﴾ قَالُوٓا۟ إِنَّا كُنَّا قَبْلُ فِىٓ أَهْلِنَا مُشْفِقِينَ ﴿٢٦﴾ فَمَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْنَا وَوَقَىٰنَا عَذَابَ ٱلسَّمُومِ ﴿٢٧﴾ إِنَّا كُنَّا مِن قَبْلُ نَدْعُوهُ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْبَرُّ ٱلرَّحِيمُ ﴾ الطور: ٢٥-٢٨.

إن إقبال الإنسان على صاحبه، وإقباله عليه بكليته، لا يكون غالبًا إلا عند إلقاء البشارات، والأخبار السارة، وكذلك يفعلُ أهل الجنة حين يقبل بعضهم على بعض، ويتساءلون: ماذا كنتم تعملون في الدنيا؟ كيف نلتم

(١) د.فريد الأنصاري: من مجالس التدبر (٢/ ١٦٦) بتصرف يسير.

هذا العطاء الرباني؟ كلٌّ يسأل صاحبه ويحكي قصته، وكلهم ـ على اختلاف أشكال تعبيرهم ـ يدورون في الجواب على حقيقة واحدة: ﴿قَالُوٓاْ إِنَّا كُنَّا قَبۡلُ فِيٓ أَهۡلِنَا مُشۡفِقِينَ﴾.

إن معنى الإشفاق هو الخوف المصحوب برحمة، والحذر المصحوب بعناية، كما قال تعالى عن المتقين في سورة الأنبياء: ﴿ٱلَّذِينَ يَخۡشَوۡنَ رَبَّهُم بِٱلۡغَيۡبِ وَهُم مِّنَ ٱلسَّاعَةِ مُشۡفِقُونَ﴾ الأنبياء:٤٩ أي: مشفقون على أنفسهم منها؛ فيحذرون الوقوع فيما يهوي بهم في عذابها.

ومن ثَمَّ فالإشفاق هو وازع التقوى ومورِدُها ومُغَذِّيها.

فمعنى أنهم كانوا في أهلهم مشفقين بيان لما كانوا عليه من قبل في حياتهم الدنيا، من حال الحذر والرهب، والخوف من لقاء الله، والاحتياط في الأعمال ليوم الحساب، والتصرف على ذلك الميزان، وبذلك الشعور الإيماني العميق.

وعبّروا بأنهم كذلك كانوا في أهليهم؛ لأن الإنسان وسط أهله وأبنائه أكثر تعرضا للغفلة والفتنة؛ بسبب ما يصحب العيش بين الأزواج والولدان، من الميل إلى الكسل والراحة والدعة، ومن الانشغال بمتع الحياة الدنيا وشهواتها، والانغماس في همومها، والتفكير في الكسب والمال، لكن أهل التقوى لم يشغلهم ذلك كله، رغم عدم تقصيرهم في طلب ما كتب الله لهم منه، ولم يفتنهم عن عبادة الله ورعاية حقوقه، والسير إليه تعالى بقلوب وجلة،

وأعمال خالصة، وسط ذلك المحيط الدنيوي المغري بالتنعم العاجل الفاني، بل إنهم أناروا بيوتهم بمصابيح التقوى، ولقّنَوا أهليهم حقيقة الإشفاق من رب العالمين، فصار الأبناء في ذلك لآبائهم تابعين.

فكانت النتيجة أن تفضل عليهم اللهُ بمنّه، فسلّمَهُم من عذابه، ونجاهم من عقابه، وأدخلهم جنته، فذلك قوله تعالى حكاية عنهم: ﴿فَمَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْنَا وَوَقَىٰنَا عَذَابَ ٱلسَّمُومِ﴾ والسموم: ريح جهنم الحارقة، التي تدخل في مسام الجلد من شدة حرارتها.

وفي الأخير اكتمل جواب المتسائلين عما به كان نجاتهم بقولهم: ﴿إِنَّا كُنَّا مِن قَبْلُ نَدْعُوهُ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْبَرُّ ٱلرَّحِيمُ﴾ وسياق الكلام دالٌّ على أن مدار الدعاء، كان حول طلب النجاة من النار، والفوز برضا الرحمن.

وقد يتسع معنى الدعاء هنا، ليشمل كل معاني العبادة وعلى رأسها التوحيد والإخلاص، وأما الابتهال إلى الله بالدعاء رغبًا ورهبًا، فهو حُداء العبد السائر إلى ربه بأقدام الخوف والرجاء، وهذا إنما هو من آثار الإشفاق الذي كانوا عليه من قبل، وهو علامة التقوى، والصفة الأساس التي وصفهم الرحمن بها في صدر السياق، ومن ثَمّ خُتم المشهد كله بهذا التذييل: ﴿إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْبَرُّ ٱلرَّحِيمُ﴾.

واستعمال ضمر الفصل ﴿هُوَ﴾ مقرونًا بـ(أل) الاستغراقية في اسميه تعالى ﴿ٱلْبَرُّ﴾، ﴿ٱلرَّحِيمُ﴾ يفيد تخصيص ذلك به وحده، والمعنى: لا بَرَّ على الحقيقة سواه، ولا رحيم على الكمال غيره.

و﴿ٱلْبَرُّ﴾ معناه الكثير العطاء والإحسان، الوفي الذي لا يُخيّبُ ظن عبده به، و﴿ٱلرَّحِيمُ﴾ معناه: الكثير الرحمة، الذي تسع رحمته كلّ من تاب إليه من عباده ورجع.

فاللهم إن مغفرتك أوسع من ذنوبنا، ورحمتَك أرجى عندنا من أعمالنا، فاغفر لنا وارحمنا، وتب علينا إنك أنت التواب الرحيم.

وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.





المجلس الثالث والعشرون

من أسرار قوله تعالى

﴿يَرۡفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمۡ وَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَ دَرَجَٰتٖ﴾(١)

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، أما بعد:

فيقول الله تعالى في سورة المجادلة: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا قِيلَ لَكُمۡ تَفَسَّحُواْ فِي ٱلۡمَجَٰلِسِ فَٱفۡسَحُواْ يَفۡسَحِ ٱللَّهُ لَكُمۡۖ وَإِذَا قِيلَ ٱنشُزُواْ فَٱنشُزُواْ يَرۡفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمۡ وَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَ دَرَجَٰتٖۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرٞ﴾ المجادلة: ١١.

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية مبينًا بعض أسرار هذه الآية العظيمة:

«خص سبحانه رفعه بالأقدار والدرجات الذين أوتوا العلم والإيمان، وهم الذين استشهد بهم في قوله تعالى: ﴿شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ وَأُوْلُواْ ٱلۡعِلۡمِ قَآئِمَۢا بِٱلۡقِسۡطِ﴾ آل عمران: ١٨ وأخبر أنهم هم الذين يرون ما أنزل

(١) لشيخ الإسلام ابن تيمية، مجموع الفتاوى ١٦/ ٥١-٤٨، بتصرف يسير.

إلى الرسول هو الحق بقوله تعالى: ﴿ وَيَرَى ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ هُوَ ٱلْحَقَّ ﴾ سبأ:٦، فدل على أن تعلم الحجة والقيام بها يرفع درجات من يرفعها، كما قال تعالى: ﴿نَرْفَعُ دَرَجَٰتٍ مَّن نَّشَآءُ﴾ الأنعام: ٨٣، قال زيد بن أسلم: بالعلم.

فرَفْعُ الدرجاتِ والأقدارِ على قَدْرِ معاملة القلوب بالعلم والإيمان، فكم ممن يختم القرآن في اليوم مرة، أو مرتين، وآخر لا ينام الليل، وآخر لا يفطر، وغيرهم أقل عبادة منهم وأرفع قدرًا في قلوب الأمة!

وكذلك ترى كثيرًا ممن لبس الصوف، ويهجر الشهوات، ويتقشف، وغيره -ممن لا يدانيه في ذلك- من أهل العلم والإيمان أعظم في القلوب، وأحلى عند النفوس، وما ذاك إلا لقوة المعاملة الباطنة، وصفائها، وخلوصها من شهوات النفوس، وأكدار البشرية، وطهارتها من القلوب التي تكدر معاملة أولئك.

وإنما نالوا ذلك بقوة يقينهم بما جاء به الرسول ﷺ، وكمال تصديقه في قلوبهم، ووده، ومحبته، وأن يكون الدين كله لله، فإن أرفع درجات القلوب فرحها التام بما جاء به الرسول ﷺ، وإبتهاجها وسرورها، كما قال تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَفْرَحُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ ﴾الرعد:٣٦، وقال

تعالى: ﴿قُلْ بِفَضْلِ ٱللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِۦ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُوا۟ هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ﴾ يونس: ٥٨، ففضل الله ورحمته: القرآن، والإيمان، من فرح به فقد فرح بأعظم مفروح به، ومن فرح بغيره فقد ظلم نفسه، ووضع الفرح في غير موضعه، فإذا استقر في القلب، وتمكن فيه العلم بكفايته لعبده ورحمته له، وحلمه عنده، وبره به، وإحسانه إليه على الدوام، أوجب له الفرح والسرور أعظم من فرح كل محب بكل محبوب سواه، فلا يزال مترقيًا في درجات العلو والارتفاع بحسب رقيه في هذه المعارف، هذا في باب معرفة الأسماء والصفات.

وأما في باب فهم القرآن، فهو دائم التفكر في معانيه، والتدبر لألفاظه، واستغنائه بمعاني القرآن وحكمه عن غيره من كلام الناس، وإذا سمع شيئًا من كلام الناس وعلومهم عرضه على القرآن، فإن شهد له بالتزكية قبله، وإلا رده، وإن لم يشهد له بقبول ولا رد وقفه، وهمته عاكفة على مراد ربه من كلامه، ولا يجعل همته فيما حجب به أكثر الناس من العلوم عن حقائق القرآن: إما بالوسوسة في خروج حروفه، وترقيقها، وتفخيمها، وإمالتها، والنطق بالمد الطويل والقصير والمتوسط، وغير ذلك، فإن هذا حائل للقلوب، قاطعٌ لها عن فهم مراد الرب من كلامه.

وكذلك مراعاة النغم، وتحسين الصوت، وكذلك تتبع وجوه الإعراب، واستخراج التأويلات المستكرهة التي هي بالألغاز والأحاجي أشبه منها بالبيان.

وكذلك صرف الذهن إلى حكاية أقوال الناس، ونتائج أفكارهم، وكذلك تأويل القرآن على قول من قلد دينه، أو مذهبه، فهو يتعسف بكل طريق حتى يجعل القرآن تبعًا لمذهبه، وتقويةً لقول إمامه، وكلٌّ محجوبون بما لديهم عن فهم مراد الله من كلامه في كثير من ذلك، أو أكثره، والله سبحانه وتعالى أعلم» انتهى كلامه.

وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.





المجلس الرابع والعشرون

﴿يَوْمَ تُبْلَى السَّرَائِرُ﴾[1]

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، أما بعد:

فيقول الله تعالى: ﴿يَوْمَ تُبْلَى السَّرَائِرُ﴾ ففي هذه الآية العظيمة يذكِّر الله عباده بشأن القلوب، وأعمالها، وسرائرها، مما لا يعلمه الناس وهو بها عالم.

كما ينبه الله ﷻ إلى أن هذه السرائر ستبلى وتُختبر يوم القيامة، ويظهر ما فيها من الإخلاص والمحبة والصدق أو ما يضادها من النفاق والكذب والرياء؛ وذلك في يوم القيامة يوم الجزاء والحساب، وهذا واضح من الآية وما قبلها وبعدها؛ حيث يقول الله: ﴿إِنَّهُ عَلَى رَجْعِهِ لَقَادِرٌ ۝٨ يَوْمَ تُبْلَى السَّرَائِرُ ۝٩ فَمَا لَهُ مِنْ قُوَّةٍ وَلَا نَاصِرٍ﴾ الطارق:٨ - ١٠.

والقلب هو محط نظر الله وعليه يدور القبول والرد كما قال ﷺ: «إن الله لا ينظر إلى أجسامكم ولا إلى صوركم، ولكن ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم»[2].

والسريرة إذا صلحت صلح شأن العبد كله وصلحت أعماله الظاهرة ولو كانت قليلة.

---

(١) الشيخ عبدالعزيز بن ناصر الجليّل.

(٢) البخاري (٥٢)، مسلم (١٥٩٩).

والعكس من ذلك عندما تفسد السريرة، فإنه يفسد بفسادها أقوال العبد وأعماله، وتكون أقرب إلى النفاق والرياء عياذًا بالله تعالى، ويوضح هذا الأمر قوله: «ألا وإن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله، وإذا فسدت فسد الجسد كله ألا وهي القلب».

يقول ابن القيم: في تفسير هذه الآية ﴿يَوْمَ تُبْلَى ٱلسَّرَآئِرُ﴾: «وفي التعبير عن الأعمال بالسر لطيفة، وهو أن الأعمال نتائج السرائر الباطنة؛ فمن كانت سريرته صالحة كان عمله صالحًا، فتبدو سريرته على وجهه نورًا وإشراقًا وحياء، ومن كانت سريرته فاسدة كان عمله تابعًا لسريرته، لا اعتبار بصورته، فتبدو سريرته على وجهه سوادًا وظلمة وشينًا، وإن كان الذي يبدو عليه في الدنيا إنما هو عمله لا سريرته، فيوم القيامة تبدو عليه سريرته، ويكون الحكم والظهور لها»[(١)].

ومما سبق يتبين لنا عِظَمُ شأن القلب، وخطورة السريرة، حيث إنها محط نظر الله سبحانه وتعالى وعليها مدار القبول عنده سبحانه، وحسب صلاحها وفسادها يكون حسن الخاتمة وسوؤها.

وكلما صلحت السريرة تمت الأعمال الصالحة وزكت ولو كانت قليلة، والعكس من ذلك في قلة بركة الأعمال حينما تفسد السريرة ويصيبها من الآفات ما يصيبها.

(١) التبيان في أقسام القرآن (ص:١٠٥).

وهذا هو الذي يفسر لنا تفوُّق أصحاب محمد ﷺ على غيرهم ممن جاء بعدهم، ممن قد يكون أكثر من بعض الصحابة عبادة وقربات؛ حيث إن أساس التفاضل بين العباد عند الله سبحانه وتعالى هو ما وقر في القلب من سريرة صالحة مطابقة لما ظهر في العلانية من أعمال وأقوال.

يقول ابن مسعود رضي الله عنه: «أنتم أطول صلاة وأكثر اجتهادًا من أصحاب رسول الله ﷺ، وهم كانوا أفضل منكم، قيل له: بأي شيء؟ قال: إنهم كانوا أزهد في الدنيا وأرغب في الآخرة منكم».

وأخبار السلف في حرصهم على أعمال القلوب وإصلاح السرائر كثيرة ومتنوعة، وبخاصة فيما يتعلق بمحبة الله سبحانه وتعالى والخوف منه وإخلاص العمل له سبحانه؛ ومن ذلك: ما ذكره خالد بن صفوان قال: «لقيتُ مَسْلَمَة بن عبد الملك فقال: يا خالد! أخبرني عن حَسَن أهل البصرة. قلت: أصلحك الله أخبرك عنه بعلم: أنا جاره إلى جنبه وجليسه في مجلسه وأعلم من قِبَلي به: أشبه الناس سريرة بعلانية، وأشبهه قولًا بفعل، إن قعد على أمر قام به، وإن قام على أمر قعد عليه، وإن أمر بأمر كان أعمل الناس به، وإن نهى عن شيء كان أترك الناس له، رأيته مستغنيًا عن الناس، ورأيت الناس محتاجين إليه، قال: حسبك! كيف يضل قوم هذا فيهم؟».

فإن سألتَ: ما العلامات التي تعرف بها السريرة الصالحة من الفاسدة؟ فيقال: إن لذلك علامات، منها:

العناية بأعمال القلوب؛ ومنها: إخلاص الأعمال والأقوال لله ﷻ ومحاولة إخفائها عن الناس وكراهة الشهرة والظهور، والزهد في ثناء الناس. ويضاد ذلك: الرياء، وإرادة الدنيا بعمل الآخرة وحب الظهور.

الإنابة إلى الدار الآخرة والتجافي عن الدنيا والاستعداد للرحيل وحفظ الوقت وتدارك العمر، ويضاد ذلك: الركون إلى الدنيا وامتلاء القلب بهمومها ومتاعها الزائل، ونسيان الآخرة وقلة ذكر الله ﷻ وتضييع الأوقات.

سلامة القلب من الحقد والغل والحسد، ويضاد ذلك: امتلاؤه بهذه الأمراض.

التسليم لأمر الله ﷻ وأمر رسوله دون لماذا؟ وكيف؟ ويضاد ذلك: الولوع بالمتشابهات والخواطر الرديئة.

فكل هذه الخصال -وغيرها- تدل على صلاح في السريرة؛ وأضدادها إنما هي من خصال المنافقين الذين فسدت سرائرهم كما صحت بذلك السنة عن النبي ﷺ.

فلنجتهد -أيها الإخوة- في إصلاح السرائر، حتى إذا ابتليت يوم القيامة نجت من الفضيحة والخزي. والله المستعان.

وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.





المجلس الخامس والعشرون

﴿يَٰلَيْتَنِي قَدَّمْتُ لِحَيَاتِي﴾[1]

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، أما بعد:

فمن المواقف المهولة التي لا بد أن يقفها الإنسان يوم القيامة، ما ذكره الله تعالى في خواتيم سورة الفجر: ﴿كَلَّآ إِذَا دُكَّتِ ٱلْأَرْضُ دَكًّا دَكًّا ﴿٢١﴾ وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا ﴿٢٢﴾ وَجِاْىٓءَ يَوْمَئِذٍۭ بِجَهَنَّمَ ۚ يَوْمَئِذٍ يَتَذَكَّرُ ٱلْإِنسَٰنُ وَأَنَّىٰ لَهُ ٱلذِّكْرَىٰ ﴿٢٣﴾ يَقُولُ يَٰلَيْتَنِي قَدَّمْتُ لِحَيَاتِي﴾ الفجر: ٢١ - ٢٤.

يقول العلامة العثيمين رحمه الله: معلقًا على هذا المشهد:

«يُذكّر الله سبحانه وتعالى الناس بيوم القيامة ﴿إِذَا دُكَّتِ ٱلْأَرْضُ دَكًّا دَكًّا﴾ حتى لا ترى فيها عوجًا ولا أمتا، تدك الجبال، فلا بناء، ولا أشجار، تمد الأرض كمد الأديم، ويكون الناس عليها في مكان واحد، يسمعهم الداعي، وينفذهم البصر.

(١) تفسير جزء عم (٢٠١-٢٠٥) باختصار.

في هذا اليوم ﴿يَتَذَكَّرُ ٱلْإِنسَٰنُ وَأَنَّىٰ لَهُ ٱلذِّكْرَىٰ ﴿٢٣﴾ يَقُولُ يَٰلَيْتَنِى قَدَّمْتُ لِحَيَاتِى﴾ ولكن قد فات الأوان؛ لأننا في الدنيا في مجال العمل، وفي زمن المهلة، فيمكن للإنسان أن يكتسب لمستقره، كما قال مؤمن آل فرعون ﴿يَٰقَوْمِ إِنَّمَا هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا مَتَٰعٌ وَإِنَّ ٱلْءَاخِرَةَ هِىَ دَارُ ٱلْقَرَارِ﴾ غافر:٣٩، فهي متاع يتمتع به الإنسان كما يتمتع المسافر بمتاع السفر حتى ينتهي سفره، فهكذا الدنيا، واعتبر ما يستقبل بما مضى.

كل ما مضى كأنه ساعة من نهار، كأننا الآن مخلوقون، فكذلك ما يستقبل سوف يمر بنا سريعًا ويمضي بنا سريعًا، وينتهي السفر إلى مكان آخر ليس مستقرًا، إلى الأجداث والقبور، ومع هذا فإنها ليست محل استقرار؛ لقول الله تعالى: ﴿أَلْهَىٰكُمُ ٱلتَّكَاثُرُ ﴿١﴾ حَتَّىٰ زُرْتُمُ ٱلْمَقَابِرَ﴾ التكاثر:١ - ٢، وقد سمع أعرابيٌّ رجلًا يقرأ هذه الآية، فقال: (والله ما الزائر بمقيم! ولا بد من مفارقة لهذا المكان) وهذا استنباط قويٌّ، وفهم جيد، يؤيده الآيات الكثيرة الصريحة في ذلك...

﴿وَجِاْىٓءَ يَوْمَئِذٍۭ بِجَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ يَتَذَكَّرُ ٱلْإِنسَٰنُ وَأَنَّىٰ لَهُ ٱلذِّكْرَىٰ﴾ لم يذكر الجائي، لكن قد دلّت السنة أنه يؤتى بالنار تقاد بسبعين ألف زمام، كل زمام منها يقوده سبعون ألف ملك! وما أدراك ما قوة الملائكة، قوة ليست كقوة البشر،ولا كقوة الجن، بل هي أعظم وأعظم بكثير... وقيادة النار بهذا العدد الكثير دليل على أنها عظيمة.

وهذه النار إذا رأت أهلها من مكان بعيد سمعوا لها تغظيًا وزفيرًا، وليس زفيرها كزفير المعدات والطائرات، بل هو زفير تنخلع منه القلوب...؛ فلهذا أنذرنا الله تعالى منها.

فهذه ثلاثة أمور، كلها إنذار: مجيء الرب جلّ جلاله، صفوف الملائكة، الإتيان بجهنم.

﴿يَوْمَئِذٍ يَتَذَكَّرُ الْإِنْسَانُ وَأَنَّى لَهُ الذِّكْرَى﴾ والمعنى: إذا جاء الله تعالى في يوم القيامة، وجاءت الملائكة صفوفًا صفوفا، وأحاطوا بالخلق، وحصلت الأهوال والأفزاع، يتذكر الإنسان أنه وعد بهذا اليوم، وأنه أعلم به من قبل الرسل -عليهم الصلاة والسلام- وأنذروا وخوّفوا؛ ولكن من حقّت عليه كلمة العذاب فإنه لا يؤمن ولو جاءته كل آية، حينئذٍ يتذكر، لكن يقول الله ﷻ: ﴿وَأَنَّى لَهُ الذِّكْرَى﴾..

﴿يَقُولُ يَا لَيْتَنِي قَدَّمْتُ لِحَيَاتِي﴾ يتمنى أنه قدم لحياته! وماهي حياته؟ أهي حياة الدنيا؟ لا والله! فالحياة الدنيا انتهت وانقضت، وليست الحياة الدنيا حياة في الواقع، فهي هموم وأكدار، كل صفو يعقبه كدر، كل عافية يتبعها مرض، كل اجتماع يعقبه تفرق! أين الآباء؟ أين الإخوان؟ أين الأبناء؟ أين الأزواج؟ هل هذه حياة؟!...

كل إنسان يتذكر أن مآله أحد أمرين: إما الموت، وإما الهرم!

نحن نعرف أناسًا كانوا شبابًا في عنفوان الشباب، فعُمّروا لكن رجعوا إلى أرذل العمر، يرق لهم الإنسان إذا رآهم في حالة بؤس، حتى وإن كان عندهم من الأموال ما عندهم،وعندهم من الأهل ما عندهم؛ لكنهم في حالة بؤس...

الحياة هي ما بينها الله تعالى في قوله: ﴿وَإِنَّ ٱلدَّارَ ٱلْآخِرَةَ لَهِىَ ٱلْحَيَوَانُ﴾ أي: لهي الحياة التامة ﴿لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ﴾ العنكبوت:٦٤.. إذًا على الإنسان أن يستعد قبل أن يقول: ﴿يَٰلَيْتَنِى قَدَّمْتُ لِحَيَاتِى﴾.

اللهم ارزقنا الاستعداد لذلك اليوم العظيم، وارحمنا برحمتك ولا تكلنا إلى أنفسنا طرفة عين، يا رب العالمين.

وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.





المجلس السادس والعشرون

﴿إِنَّ سَعْيَكُمْ لَشَتَّىٰ﴾[1]

الحمدُ لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده؛ أما بعد:

فقد ذكر الماوردي في (أدب الدنيا والدين)[2] أنه مَرَّ بعضُ الزُّهَّادِ برجُلٍ قد اجتمعَ عليه النَّاسُ، فقال: ما هذا؟ قالوا: مِسكينٌ، سَرَقَ منه رَجُلٌ جُبَّةً..

وَمَرَّ به آخَرُ فَأَعْطَاهُ جُبَّةً، فقال: صَدَقَ اللهُ: ﴿إِنَّ سَعْيَكُمْ لَشَتَّىٰ﴾.

لو نظرتَ –على سبيل المثال– في أحوال الناس في المطار؛ لرأيتَ من الناسِ (سعيًا شتّى)، فكلٌّ يحملُ حقيبةَ سفر؛ لكنَّ المقاصدَ متفرِّقةٌ، فهذا مسافرٌ لأداء العمرةِ، وهذا في رحلةِ علاجٍ طبي، وذاك لتجارةٍ يخشى كسادَها، ورابعٌ للنزهة، وخامسٌ للدراسة، وسادسٌ للتقديم على وظيفة، وسابعٌ لزيارة أقاربه، وثامنٌ لحضور بطولةٍ رياضيَّة، وتاسعٌ بلا هدفٍ فاضل، وعاشرٌ لهدفٍ سافلٍ!

(١) للشيخ مهند بن حسين المعتبي، إمام وخطيب جامع عبدالله بن عباس بجازان.
(٢) (ص ١٥١)

تعدَّدَت الأغراض، وتنوَّعت المقاصد، واختلفت الغاياتِ، وكلُّهم مسافرٌ! وصَدَقَ اللهُ: ﴿إِنَّ سَعْيَكُمْ لَشَتَّىٰ﴾.

لو تأمَّلتَ هذهِ الآيةَ الفذَّةَ التي بلغت الغايةَ إيجازًا وصِدْقًا؛ لرأيت كيفَ أنَّها في غايةِ المناسبةِ حينما وقعت جوابًا لأقسامٍ ثلاثةٍ أقسمَ بها ربُّ العِزَّةِ في مطلع سورةِ الليل.

﴿وَٱلَّيْلِ إِذَا يَغْشَىٰ ۝١ وَٱلنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّىٰ ۝٢ وَمَا خَلَقَ ٱلذَّكَرَ وَٱلْأُنثَىٰٓ ۝٣ إِنَّ سَعْيَكُمْ لَشَتَّىٰ﴾ الليل:١ – ٤.

فقدَ أقسمَ بالليلِ والنهارِ وهما في غايةِ التضادِّ، فالأوَّل أسودُ معتمٌ، والثاني أبيضُ مضيءٌ، وليسُ الليلُ كالنهار!

ثُمَّ أقسمِ بنفسهِ خالقِ الذَّكرِ والأنثى، وهما كذلك متضادَّان، ﴿وَلَيْسَ ٱلذَّكَرُ كَٱلْأُنثَىٰ﴾ آل عمران:٣٦!

ثمَّ جاءَ جوابُ القسمِ مجلِّيًا لهذهِ الحقيقةِ، وهي الاختلافُ الكثيرُ، والتضادُّ الكبير في أعمال النَّاس وسعيهم ﴿إِنَّ سَعْيَكُمْ لَشَتَّىٰ﴾ فمِنْ عاملٍ خيرًا، ومِن عاملٍ شَرًّا! و(شَتَّى) جمعُ شتيتٍ، كـ (مرضى) جمعُ مريضٍ.

والسعيُ هنا مطلق العمل لا سعي الأقدام، وما زالَ النَّاسُ مذ خلقهم ربُّهم وهم على غيرِ قلبِ رجلٍ واحدٍ، فابنا آدمَ - عليه السلام - يقولُ قابيلُ لهابيلَ: ﴿لَأَقْتُلَنَّكَ﴾، ويرُدُّ هابيلُ: ﴿لَئِنۢ بَسَطتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِي مَآ أَنَا۠ بِبَاسِطٖ يَدِيَ إِلَيْكَ لِأَقْتُلَكَۖ إِنِّيٓ أَخَافُ ٱللَّهَ رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾المائدة:٢٧ - ٢٨، وكان سعيُهما شتَّى!

وما اختلافُ سعي الأعمالِ إلا لاختلافِ ما تنطوي عليه القلوبُ، فالقلبُ يأمرُ، والجوارحُ تُنَفِّذُ، فاختلفت أعمالُ الناس لاختلافِ قلوبهم وما انطوت عليه، و﴿مَّا جَعَلَ ٱللَّهُ لِرَجُلٖ مِّن قَلْبَيْنِ فِي جَوْفِهِۦ﴾ الأحزاب:٤ وما جعلَ لرجلين قلبًا واحدًا!

ومِنَ العجيبِ أنَّ اختلافَ السعْيِ ليسَ محصورًا في اختلاف مساعي الناس فيما بينهم، بل منه اختلافُ حالِ المرء في نفسهِ وتشتُّتِ سعيه مع مرورِ الأيَّامِ، وتصرُّمِ الأعوام!

وفي هذه الآية من الإشاراتِ: أنَّ الإنسانَ عندَ الله بسعيهِ، وأنَّ من سعى في الصَّالحاتِ يُسِّرَ لليُسرَى، ومن سعى في السَّيِّئات يُسِّرَ للعُسرى، ﴿وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَٰنِ إِلَّا مَا سَعَىٰ﴾ النجم:٣٩!

وفيها؛ أنَّ أصلَ الفلاحِ وأساسَه صلاحُ القلبِ وإعمارُه، فما سَعْيُ الإنسانِ إلاَّ بأمرِ قلبِه النافذِ.

وفيها؛ أنَّ أحوالَ النَّاسِ في الخلوةِ مختلفةٌ كأحوالهم في الجلوة، وهي في الخلَواتِ أكثرُ اختلافًا، وأعظمُ تباينًا، فقد يتفقُ في ساعةٍ رجلانِ، وبينهما حجابٌ، وكلاهما في عُزلةٍ من الناسِ، ولا يدري أحدٌ عن صاحبِهِ، فهذا فرحٌ بخلوته، مستلِذٌّ بمناجاة الله، مسرورٌ بما يقيمُ عليه، قد نالَ رضى الله، وذاك فرحٌ بخلوتِه، مستلِذٌّ بمعصيةِ الله، مسرورٌ بما يُقيم عليه، قد باء بسخطٍ من الله!

وصدقَ اللهُ: ﴿إِنَّ سَعۡيَكُمۡ لَشَتَّىٰ﴾!

وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.





المجلس السابع والعشرون

شكر النعم في سورتي (الضحى) و (الشرح)[1]

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، أما بعد:

فإن شُكر المُنْعِم على نِعَمِهِ مِنْ أَجَلِّ العُبُوديَّات وَأفضَلِ القُرُبَاتِ، وهو أبرزُ هِداياتِ سورتي (الضحى) و(الشرح)، فقد ذَكرَ اللهُ فيهما عددًا مِنَ النِعم التي أكرم الله بها رسوله ﷺ وبيَّن لهُ فيهما وجوبَ شكرِ النِّعمِ تفصيلًا وإجمالًا على النِّعم الحِسّية والمعنوية.

أمَّا النِّعم المذكورة في سورة الضحى فهي ست:

الأولى: أنَّ اللهَ جلَّ في عُلاه مَا تَرَكَ محمدًا ﷺ ومَا قلاه، أي: ما أبغضه، وَحاشاه عليه الصلاة والسلام، وَقد أقسمَ الله على ذلكَ بقسمين؛ أولهما الضحى، والثاني الليل إذا سجى، أي غطى الكون بظلامه وسكن.

والثانية: أنَّ الآخرة خير له من الأولى.

(١) للدكتور محمد بن عبد العزيز الخضيري، عضو الهيئة العالمية لتدبر القرآن، وعضو هيئة التدريس بجامعة الملك سعود.

والثالثة: أنَّ الله سوفَ يعطيه مِنْ واسع فضلهِ حتى يرضى، وقدْ أكدَّ الله هذين الوعدين الكريمين بالقسم.

والرابعة: أنَّ الله تعالى آواه حينَ كانَ يتيمًا بأنْ سخَّرَ لهُ جَدهُ عبدالمطلب وعمَّهُ أبا طالب فأحباه وقرباه وأكرماه.

والخامسة: أنَّ الله تعالى أنزلَ عليه هذا الوحيَ ونوَّرَ قلبهُ بهِ ولمْ يكنْ بهِ عالمًا فقال ﴿وَوَجَدَكَ ضَآلًّا فَهَدَىٰ﴾.

والسادسة: أنَّ الله تعالى أغناهُ من فقره فملأ نفسه غنى، وجعل الدنيا بين يديه فلم يأخُذ منها عليه الصلاة والسلام إلا قدرَ الكفاف.

وأمَّا النِّعم المذكورة في سورة الشرح فهي أربع:

الأولى: نعمةُ شرحِ الصدرِ واتِّساعه لكل خير وتحمُّله لكلِ مقدورٍ ورضاهُ بالمصائبِ وحبُّه للمؤمنين وسلامَةُ صدرِه مع الخلقِ أجمعين.

الثانية: نعمةُ غفرانِ ذُنُوبِهِ وَوَضعِ أوزارِهِ حتى لمْ يُبقِ الله مِنْ ذنوبه شيئًا متقدِّمًا ولا متأخِّرًا إلاَّ عفى عنه.

والثالثة: نعمةُ رفعِ الذكرِ وعُلوِّ الشأنِ ولسانِ الصدقِ بينَ العالمين حتى صارَ ذكرُ اسمه ﷺ مقرونًا باسم الله في كثيرٍ مِنَ الأحيان وصارَ اسمه يجلجل في الآفاق لا ينقطع على مدى الأزمان.

والرابعة: نعمة اليسر بعد العسر، فما يقعُ في كربة ولا مشقة إلاَّ جعلَ الله بعدهَا اليسْرَ والرحمة واللطفَ والفضْلَ كرَمًا منهُ سبحانَه على عبده ﷺ بل وعلى سائر عباده.

هذه هي جملة منَ النِّعم المذكورة في السورتين الكريمتين وقدْ فصَّل فيهما وعدَّدَهُما سبحانَهُ ليُبيِّنَ وجوبَ شُكرهِ في كلِّ نعمة تفصيلًا وعلى عموم النِّعم إجمالًا.

وقدْ جاءَتْ السورتان ببيانِ ذلكَ على سبيلِ التفصيل في النِّعم المَحسوسَة، فأرشدَهُ اللهُ إلى إكرام الأيتام فقال: ﴿فَأَمَّا ٱلْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ﴾ جزاءً على نعمةِ إيوائِه عندما كانَ يتيمًا، وأرشدَهُ إلى تعليم الجاهلين وإجابةِ السائلينَ برفقٍ ولينٍ فقال: ﴿وَأَمَّا ٱلسَّآئِلَ فَلَا تَنْهَرْ﴾ جزاءً على النِّعمة المذكورة في قوله: ﴿وَوَجَدَكَ ضَآلًّا فَهَدَىٰ﴾، وأرشدَهُ إلى إطعام الفقراء والمساكين وإكرام السائلين بلا أذى ولا نهر فقال: ﴿وَأَمَّا ٱلسَّآئِلَ فَلَا تَنْهَرْ﴾ جزاء على النعمة المذكورة في قوله ﴿وَوَجَدَكَ عَآئِلًا فَأَغْنَىٰ﴾ هذا كلُّه على وجهِ التفصيل.

وأما الإجمال فقال: ﴿وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ﴾ أي حدِّثْ نفسَكَ بهذا لتزدادَ تعلقًا بربِّك، واعترافًا بفضلِه وحدِّث الناسَ بِمَا صَنَعَ الله بِكَ ليكونَ ذلك عنوانَ شُكرك لربِّك فإنَّ الشُكرَ كما يكون بالقلب يكون باللسانِ والجوارحِ.

ولمَّا ذكرَ النعم في سورة الشرح قال: ﴿فَإِذَا فَرَغْتَ فَٱنصَبْ ۝٧ وَإِلَىٰ رَبِّكَ فَٱرْغَب﴾ أي: إذا فرغتَ منْ شُغلكَ ومَا بيدكَ فانْصَبْ في عبادة ربِّك وارغبْ إليه، واجعلْ طمعكَ فيما عندهُ؛ فإنَّ الخيرَ كلَّه بيدِه، شاكرًا للهِ على ما أولاك من النعم وما غمرك به من الفضائل؛ فإنَّ شكرَ النِّعم هو الذي يُقِرُّهَا بيدك ويزيدها كما قال تعالى: ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ ۖ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ﴾ إبراهيم: ٧.

وبهذا يتبيَّنُ أنَّ لكلِّ نعمةٍ شكرًا عامًا بالحديثِ عنها والاعترافِ بها وتسخيرها في طاعةِ الله، وشكرًا خاصًّا يكونُ مِنْ جنسها إذا أمكنَ ذلك، فإذا أطعَمَكَ اللهُ فأطعِمْ، وإذا علَّمَكَ فعَلِّمْ، ولا تَبْخَلْ، والله الموفِّقُ والهادي إلى سواءِ السبيل.

وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.





أركان تربية القرآن[1]

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، أما بعد:

أنزل الله عز وجل في كتابه المجيد أربع سور من تأملها وقف على أركان تربية القرآن لأهل الإيمان، وجميع هذه السور من أوائل ما نزل باتفاق المفسرين وهي: (اقرأ) فـ(المدثر) ثم (المزمل) ثم (القلم)، كما دلّ على ذلك الترتيب المشهور للسور عن جابر بن زيد تلميذ ابن عباس رضوان الله عليهم.

وهذه الأركان الأربعة هي:

١- العلم في سورة (اقرأ).

٢- الدعوة في سورة (المدثر).

٣- العبادة الخفية في (المزمل).

٤- الخُلق الجميل في (القلم).

(١) د.عصام بن صالح العويد، عضو هيئة التدريس بجامعة الإمام، وعضو الهيئة العالمية لتدبر القرآن.

وجه كون العلم هو الركن الأول أن من عادة القرآن ألا يُقدِّم عليه غيره، فأول أمرٍ في القرآن إنما هو بالعلم (اقرأ)، وأول قسم في القرآن جاء بأداة العلم (والقلم)، وحين أُمر بالعلم والعمل معًا قُدم العلم ﴿فَٱعۡلَمۡ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لِذَنۢبِكَ﴾ محمد:١٩.

- ورأس هذا العلم هو العلم بالله ثم بموعوده ثم بأحكامه، ولله درُّ ابن القيم حين قال:

والعلم أقسام ثلاث ما لها	من رابع والحق ذو تبيان
علم بأوصاف الإله وفعله	وكذلك الأسماء للرحمن
والأمر والنهي الذي هو دينه	وجزاؤه يوم المعاد الثاني

وقد بدأت السورة بالعلم بقدرة الله: ﴿بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلَّذِي خَلَقَ﴾، ثم ثنّت بالعلم بموعوده: ﴿إِنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلرُّجۡعَىٰٓ﴾، ثم ثلَّثت بأمره ونهيه: ﴿أَرَءَيۡتَ ٱلَّذِي يَنۡهَىٰ ۝٩ عَبۡدًا إِذَا صَلَّىٰٓ﴾ إلى قوله: ﴿وَٱسۡجُدۡ وَٱقۡتَرِب﴾ العلق:١٩، وهذا كله مما ينبه على عظيم العلاقة بين العلم والصلاة.

فإن قلتَ: ما الوسيلة إلى تحقيق هذا العلم في النفوس؟

فالجواب: أن السورة نبهت إلى الوسيلة العظمى لمعرفة العبد الصغير بربه العظيم سبحانه وهي (القراءة)، وكررت الأمر ﴿ٱقۡرَأۡ﴾ مرتين، منبهة إلى نوعين من القراءة:

أما الأول: فهو قراءة وحيه الذي خصه به. وهذه القراءة لن تنفع صاحبها نفعًا تامًا حتى تكون ملتصقةً بـ (اسم الله) مستمدة العون منه، ومستحضرةً نعمة (الربِّ الأكرم) الذي علمها هذا العِلم الأعظم.

وأما الثاني: فهو قراءة كونه الذي دلَّ عليه. وهذا نبهت السورة عليه من مطلعها وكررت التذكير به ﴿خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِنْ عَلَقٍ﴾ وأيضا ﴿ٱلَّذِى عَلَّمَ بِٱلْقَلَمِ﴾. فمن أراد معرفة الله فلا غنى له عن الولوج من هذين البابين العظيمين.

- وأما العوائق والعوالق التي تحول دون بلوغه: فقد نبهت السورة على أشدها نكالا، وهما جنسان من الجهل:

أحدهما: جهل الإنسان بحقيقة نفسه، فلا يعرف قدرها ويجهل فقرها، مع وضوح دلائله ﴿كَلَّآ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَيَطْغَىٰٓ ۝٦ أَن رَّءَاهُ ٱسْتَغْنَىٰٓ﴾ العلق:٦-٧. وهذا الجهل بالنفس لا يكون عادة في طرفي الحياة وإنما في حال الفتوة والقوة، فذكره الله بحال البدء وهو الخلق من ﴿عَلَقٍ﴾، والانتهاء الذي تصير إليه ﴿ٱلرُّجْعَىٰٓ﴾.

ثانيهما: جاهل يريد أن يصد الإنسان عن العلم الذي فيه نجاته ﴿أَرَءَيْتَ ٱلَّذِى يَنْهَىٰ ۝٩ عَبْدًا إِذَا صَلَّىٰٓ﴾، والصلاة رأس العمل الذي يُورثه أزكى العلم. وكل إعراض من هذا الإنسان إنما سببه نقص العلم بالله وصفاته.

- وأما قياس هل حققنا هذا الركن في حياتنا أم لا؟

فقد قال الله عز وجل في ختامها ﴿كَلَّا لَا تُطِعْهُ﴾ أي لا تطع هذا الجاهل، ﴿وَاسْجُدْ وَاقْتَرِب﴾ فمن أراد أمارة العلم النافع فهي في زيادة المعرفة بالله التي تورث التذلل بين يديه بالسجود ﴿وَاسْجُدْ﴾، ومحبة القرب منه ﴿وَاقْتَرِب﴾. فمن لم يورثه العلم ذلك فليس بعالم، ولذا روى أبو نعيم في «الحلية» عن ابن مسعود رضي الله عنه أنه قال: «ليس العلم بكثرة الرواية، ولكن العلم الخشية»[1] فأخذها منه مجاهد والنخعي والحسن والثوري والفضيل وأحمد وغيرهم فقالوا: «إنما العلم الخشية»، بل عقد الدارمي في سننه بابًا أسماه «بابٌ من قال: العلم الخشية»[2].

رزقنا الله جميعا العلم الحق باطنًا وظاهرًا، وجعل هذه السور العظام حجة لنا لا علينا.

وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.



(١) حلية الأولياء (١ / ١٣١).
(٢) سنن الدارمي (١ / ٣٣٣).



المجلس التاسع والعشرون

من هدايات قوله تعالى

﴿فَمَن يَعۡمَلۡ مِثۡقَالَ ذَرَّةٍ خَيۡرٗا يَرَهُۥ ۝٧ وَمَن يَعۡمَلۡ مِثۡقَالَ ذَرَّةٖ شَرّٗا يَرَهُۥ﴾[1]

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، أما بعد:

فيقول الله تعالى: ﴿فَمَن يَعۡمَلۡ مِثۡقَالَ ذَرَّةٍ خَيۡرٗا يَرَهُۥ ۝٧ وَمَن يَعۡمَلۡ مِثۡقَالَ ذَرَّةٖ شَرّٗا يَرَهُۥ﴾ الزلزلة:٧ – ٨، هكذا تأتي هاتان الآيتان لتقرران قاعدة قرآنية، وكلمةً جامعة، تمثل أصلًا من أصول العدل، والجزاء والحساب[2].

وهاتان الآيتان ختمت بهما سورة الزلزلة -التي تتحدث عن شيء من أهوال ذلك اليوم الذي تشيب لهوله الولدان، فقال-: ﴿لِّيُرَوۡاْ أَعۡمَٰلَهُمۡ﴾ ثم فرّع على ذلك فقال: ﴿فَمَن يَعۡمَلۡ مِثۡقَالَ ذَرَّةٍ خَيۡرٗا يَرَهُۥ ۝٧ وَمَن يَعۡمَلۡ مِثۡقَالَ ذَرَّةٖ شَرّٗا يَرَهُۥ﴾ ليتيقن المحسنون بكمال رحمته، والمسيئون

---

(١) د.عمر بن عبدالله المقبل، عضو هيئة التدريس بجامعة القصيم، نائب رئيس الهيئة العالمية لتدبر القرآن.

(٢) ينظر: القواعد الحسان للسعدي(١٤١)، والتحرير والتنوير(٣٠/ ٤٣٦) حيث قال: "وهذه الآية معدودة من جوامع الكلم".

بكمال عدله سبحانه وتعالى!

وعلى هذا الفهم سار الصحابة رضي الله عنهم في فهمهم الذي تعلموه من النبي ﷺ، ومن ذلك:

أن عائشة جاءها سائل فسأل! فأمرت له بتمرة، فقال لها قائل: يا أم المؤمنين إنكم لتصدّقون بالتمرة؟! قالت: نعم والله! إن الخلق كثير ولا يشبعه إلا الله، أوليس فيها مثاقيل ذر كثيرة؟!

وروي أن عمرَ رضي الله عنه أتاه مسكين -وفي يده عنقود من عنب- فناوله منه حبة وقال: فيه مثاقيل ذر كثيرة![1].

وإذا كان هذا المعنى في باب احتساب النفقة، فثمة معنى آخر يتفطن له أرباب القلوب الحيّة، وهو: الخوف من تبعة السيئات، كما قال الحارث بن سويد -لما قرأ ﴿إِذَا زُلْزِلَتِ﴾ حتى بلغ ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ﴾ قال-: إن هذا الإحصاء شديد[2].

وفي السنة الصحيحة ما يبين بجلاء معنى هذه القاعدة العظيمة: ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ۝٧ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ﴾ ومن ذلك:

---

(١) ينظر في هذه الآثار: الدر المنثور: (١٥/ ٥٩٣).

(٢) الدر المنثور: (١٥/ ٥٩١).

قوله ﷺ: بينما كلب يطيف بركية -بئر- قد كاد يقتله العطش، إذ رأته بغي من بغايا بني إسرائيل، فنزعت مُوقَها -خفها- فاستقت له به، فسقته إياه فغُفر لها به»[١]، وأخبر ﷺ -في الحديث المتفق عليه- عن امرأة دخلت النار في هرة، ربطتها فلا هي أطعمتها ولا هي أرسلتها تأكل من خشاش الأرض، حتى ماتت هزلًا[٢].

علّق الإمام الزهري -بعد روايته لحديث الهرة- فقال: «ذلك لئلا يتكل رجل، ولا ييأس رجل»[٣]، فتلك المرأة التي لم يذكرها النبي ﷺ بأنها عابدة! أو صائمة! بل لم يذكرها إلا بالبغاء! ومع هذا فقد نفعها هذا العمل! وأي عملٍ هو؟ إنه سقي حيوان من أنجس الحيوانات (الكلب)! ولكن الرب الرحيم الكريم لا تضيع عنده حسنة: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظۡلِمُ مِثۡقَالَ ذَرَّةٖۖ وَإِن تَكُ حَسَنَةٗ يُضَٰعِفۡهَا وَيُؤۡتِ مِن لَّدُنۡهُ أَجۡرًا عَظِيمٗا﴾ النساء: ٤٠.

وفي الحديث الثاني: لم يذكر النبي ﷺ سببًا أدخلها النار غير حبسها لحيوان صغير لا يؤبه له!

كل هذا ليتحقق المؤمن معنى هذه القاعدة المحكمة: ﴿فَمَن يَعۡمَلۡ مِثۡقَالَ ذَرَّةٍ خَيۡرٗا يَرَهُۥ ٧ وَمَن يَعۡمَلۡ مِثۡقَالَ ذَرَّةٖ شَرّٗا يَرَهُۥ﴾.

---

(١) مسلم(٢٢٤٥).

(٢) البخاري(٣١٤٠)، ومسلم(٢٦١٩) واللفظ له.

(٣) شرح النووي على مسلم(١٧/ ٧٢).

ومن توفيق الله لعبده أن لا يحقرن صغيرةً من الذنوب مهما كانت صغيرة في عينه؛ لأن الذي عُصِيَ هو الله ﷻ، قال بلال بن سعد:: «لا تنظر إلى صغر الخطيئة، ولكن انظر مَنْ عصيت»[1]. فمن كان قلبه حيًا تأثر بأي معصية، كالثوب الأبيض الذي يؤثر فيه أي دنس، وإلا فإن العبد إذا لم يجد للذنوب أثرًا ـ وإن كانت من الصغائر ـ فليتفقد قلبه، فإنه على شفا خطر!

وأما عدم زهد المؤمن في أي عمل صالح -وإن ظنّه صغيرًا - فلأنه لا يدري ما العمل الذي يدخله الجنة؟! ولهذا لما سأل أبو برزة رضي الله عنه نبينا ﷺ فقال: يا نبي الله! علمني شيئا أنتفع به! قال: «اعزل الأذى عن طريق المسلمين»[2]، وفي الصحيح أن «رجلًا مرّ بغصن شجرة على ظهر طريق فقال: والله لأنحين هذا عن المسلمين لا يؤذيهم، فأدخل الجنة»[3].

فتأمل كم يحتقر كثير من الناس أمثال هذه الأعمال اليسيرة!

كم نمر في يومنا بغصن؟ أو بحجر؟ أو زجاجة منكسرة؟ فربما تكاسلنا عن إزالتها كسلًا في أمثال هذه الأعمال التي هي من أسباب دخول الجنة، وأرشد إليها بعض أصحابه! اللهم ضاعف حسناتنا، وتجاوز عن سيئاتنا.

وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.



(١) الزهد للإمام أحمد: (٣٨٤).
(٢) مسلم ح(٢٦١٨).
(٣) مسلم ح(١٩١٤).



المجلس الثلاثون

موعظة من سورة التكاثر [1]

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، أما بعد:

فيقول الله تعالى: ﴿أَلْهَىٰكُمُ ٱلتَّكَاثُرُ ۝١ حَتَّىٰ زُرْتُمُ ٱلْمَقَابِرَ﴾ التكاثر: ١ - ٨، الآيات.

أيها الإخوة: كم مرةٍ قرأنا سورة التكاثر، بل منذ متى ونحن نحفظها؟ هذه السورة التي تحكي حالنا مع أنفسنا ودنيانا.. نتكاثر في كل شيء: في الأولاد.. في الزوجات.. في الأرصدة.. في العقارات.. في المتابعين في مواقع التواصل الاجتماعي.. إلى غير ذلك من صور التكاثر.

والتكاثر في ذاته لا يذم من حيث هو، إلا إذا أدّى إلى ما حذّرت منه سورة التكاثر.. فهل وقعنا في المحذور؟ الجواب لا يحتاج إلى كلفة في البحث عنه! فأدنى تأمل في واقع الناس يكشف عن الجواب.

لكن ماذا عن أثر نسيان المصير الذي سنقدم عليه؟

يجيب عن هذا الإمام القرطبي: فيقول:

«قال العلماء: ينبغي لمن أراد علاج قلبه وانقياده بسلاسل القهر إلى طاعة ربه، أن يكثر من ذكر هاذم اللذات، ومفرق الجماعات، وموتم البنين

(١) تفسير القرطبي - سورة التكاثر (٢٠/ ١١٧).

والبنات، ويواظب على مشاهدة المحتضرين، وزيارة قبور أموات المسلمين.

فهذه ثلاثة أمور، ينبغي لمن قسا قلبُه، ولزمه ذنبُه، أن يستعين بها على دواء دائه، ويستصرخ بها على فتن الشيطان وأعوانه، فإن انتفع بالإكثار من ذكر الموت، وانجلت به قساوة قلبه فذاك، وإن عظم عليه ران قلبه، واستحكمت فيه دواعي الذنب، فإن مشاهدة المحتضرين، وزيارة قبور أموات المسلمين، تبلغ في دفع ذلك ما لا يبلغه الأول؛ لأن ذكر الموت إخبار للقلب بما إليه المصير، وقائم له مقام التخويف والتحذير.

وفي مشاهدة من احتضر، وزيارة قبر من مات من المسلمين معاينة ومشاهدة، فلذلك كان أبلغ من الأول...

فأما الاعتبار بحال المحتضرين، فغير ممكن في كل الأوقات، وقد لا يتفق لمن أراد علاج قلبه في ساعة من الساعات.

وأما زيارة القبور فوجودها أسرع، والانتفاع بها أليق وأجدر.

فينبغي لمن عزم على الزيارة، أن يتأدب بآدابها، ويحضر قلبه في إتيانها، ولا يكون حظه منها التطواف على الأجداث فقط، فإن هذه حاله تشاركه فيها بهيمة -ونعوذ بالله من ذلك- بل يقصد بزيارته وجه الله تعالى، وإصلاح فساد قلبه، أو نفع الميت...

ثم يعتبر بمن صار تحت التراب، وانقطع عن الأهل والأحباب، بعد أن قاد الجيوش والعساكر، ونافس الأصحاب والعشائر، وجمع الأموال والذخائر، فجاءه الموت في وقت لم يحتسبه، وهول لم يرتقبه.

فليتأمل الزائر حال من مضى من إخوانه، ودرج من أقرانه الذين بلغوا الآمال، وجمعوا الأموال، كيف انقطعت آمالهم، ولم تغن عنهم أموالهم، ومحا التراب محاسن وجوههم، وافترقت في القبور أجزاؤهم، وترمل من بعدهم نساؤهم، وشمل ذل اليتم أولادهم، وأقتسم غيرهم طريفهم وتِلادهم.

وليتذكر ترددهم في المآرب، وحرصهم على نيل المطالب، وانخداعهم لمواتاة الأسباب، وركونهم إلى الصحة والشباب.

وليعلم أن ميله إلى اللهو واللعب كميلهم، وغفلته عما بين يديه من الموت الفظيع، والهلاك السريع، كغفلتهم، وأنه لا بد صائر إلى مصيرهم، وليحضر بقلبه ذكر من كان مترددا في أغراضه، وكيف تهدمت رجلاه.

وكان يتلذذ بالنظر إلى ما خوله وقد سالت عيناه، ويصول ببلاغة نطقه وقد أكل الدود لسانه، ويضحك لمواتاة دهره وقد أبلى التراب أسنانه، وليتحقق أن حاله كحاله، ومآله كمآله.

وعند هذا التذكر والاعتبار تزول عنه جميع الأغيار الدنيوية، ويقبل على الأعمال الأخروية، فيزهد في دنياه، ويقبل على طاعة مولاه، ويلين قلبه، وتخشع جوارحه» انتهى كلامه رحمه الله.

نسأل الله تعالى أن يرزقنا الاستعداد للقائه، وأن يجعل خير أعمارنا خواتمها، وخير أيامنا يوم نلقاه فيه.

وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

